أسّسها أ. لويس خليفة (†)
سنة ١٩٩٠

رئيس التحرير:
أ. أيّوب شهوان

أسرة التحرير:
الأب غابي أبو سمرا
الأرشمندريت نيقولا أنتيبّا
الأباتي بولس نعّوري
القس عيسى دياب
الأب أسعد جوهر
الأب جورج خوّام
الأخت باسمة الخوري
الخوري نعمةالله الخوري
الأب لويس خوند
الأخت ماري-لويز شهوان
الأب نجم شهوان
الخوري جان عزّام
الأب أنطوان عوكر
د. دانيال عيّوش
الخوري يوسف فخري
الخوري بولس الفغالي
الأب هادي محفوظ
الخوري أنطوان مخائيل
المطران بطرس مراياتي
الخوري جوزف نفّاع

جميع الحقوق محفوظة

مركز النشر والتوزيع
جامعة الروح القدس - الكسليك
ص.ب. : ٤٤٦ جونيه - لبنان
تلفون : ٥-٠٩/٦٤٠٦٦٤
فاكس : ٠٩/٦٤٢٣٣٣

الصف الإلكتروني، الإخراج، فرز الألوان والطباعة:
مؤسّسة دكّاش للطباعة
البوار (لبنان)

في هذا العدد

بالمحبة يُبنى السلام ——— الأب أيوب شهوان ٢
أفسس بين الكتاب المقدس والتاريخ ——— الخوري بولس الفغالي ٥
العلاقة بين أف وكول ——— الأخت ماري لويز شهوان .. ١١
أف: لمحة عامة ——— ١٥
من هيكل أرتاميس إلى كنيسة أفسس ——— الخوري بولس الفغالي ١٧
شكر مستمر (١:١٥-٢٣) ——— الخوري جوزف نفاع ٢٣
القيامة والمجد منذ الآن (٢:١-١٠) ——— الخوري جان عزام ٣١
التناقض بين الحياة القديمة والحياة الجديدة (٤:١٧-٣٢) ——— الخوري نعمةالله الخوري ... ٣٥
علامات الاتشاح بالطبيعة الجديدة بحسب أفسس ——— الأب لويس خوند ٣٩
عالم الأرواح في أف ——— القس عيسى دياب ٤٥
الصور الأدبية في أف ٦:١٠-٢٠. الجهاد الروحي وسلاح اللّه ——— الشدياق شارل الملكي ٤٩
تيودوريتس القورشي والرسالة إلى الأفسسيين ——— ٥٣
تفسير ابن الطيب للرسالة إلى الأفسسيين ——— الأب أيوب شهوان ٥٥

ثمن العدد
في لبنان : ٥٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ٨٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الاشتراك السنوي (٤ أعداد)
في لبنان : ٢٠٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ٣٢٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

العنوان
كليّة اللاهوت الحبريّة
جامعة الروح القدس - الكسليك
ص.ب.: ٤٤٦ جونيه - لبنان
فاكس: ٠٩/٦٤٢٣٣٣
هاتف: ٠٩/٦٤٠٦٦٤ المقسّم ١١٥

الافتتاحية

بالمحبة يبنى السلام

الأب أيوب شهوان

مقدمة

لدى قراءتنا رسائل القديس بولس يتبيّن لنا أن رسول الأمم هو الأكثر تطرّقًا، بين كتّاب العهد الجديد، إلى موضوع السلام؛ فهو، مثلاً، مُطْلِقُ القول: "إله السلام"، مع ما لهذه العبارة من جذور عميقة، ومن امتدادات غنية. فللسلام أساسه اللاهوتي، ومفاهيمه البشرية، ونماذجه المختلفة، وارتباطه بمواضيع أخرى مرادفة، مبدئية وعملية، ودوره الخلاصي المُقَدِّس.

١ – "إله السلام"

يستعمل بولس هذا التعبير ست مرات في رسائله: روم ١٥:٣٣؛ ١٦:٢٠؛ ٢ كو ١٣:١١؛ فيل ٤:٩؛ ١ تس ٥:٢٣؛ ٢ تس ٣:١٦ حيث نجد، بدلاً من كلمة "إله" كلمة "الرب". لا نصادف هذا التعبير في العهد القديم، ولا في الأدب الهلّيني الكلاسيكي. هناك بالمقابل نصٌّ في **كتاب وصيّات الآباء الاثني عشر**، وبالتحديد في **وصية دان** ٥:٢، حيث نقرأ: "وتكونون في سلام، لأنّ **إله السلام** معكم، ولا تعود الحرب تضايقكم"[١]. لكن ينبغي أن نميّز بين هذا المنحول وبين بولس: ففي الأول، ليس إطار التعبير "إله السلام" لاهوتيًا، كما هو الحال عند بولس. هناك أيضًا أمر ملفت عند فيلون الإسكندري يتعلّق بالتعبير الذي نحن بصدده، ألا وهو: "الله وحده سلام، من دون أي خداع، ويحفظ الحقيقة، في حين أن كل مخلوق قابل للفساد هو مُرْغَم على الجهاد"[٢]؛ لكن المقصود هنا هو ما يفيد لاطمئنان النفس أو نقيضُه، وبالتالي التعبير هو في إطار لاهوتي، كما عند بولس. لذلك يمكننا الجزم بأن التعبير "إله السلام" هو من إبداع بولس الرسول، وبأنه بالتالي نموذجي وفريد، إذ أنه لا يَرِدُ عند أيٍّ من كتّاب العهد الجديد، بالرغم من وجود صيغة مماثلة في عب ١٣:٢٠، لكن من المحتمل أن تكون عب ١٣:٢٠ قد استلّته من بولس، وهذا ليس بالمستَبعَد.

من الواضح أن بولس لا ينطلق من ظاهر الكلام ليبلغ هدفًا ما معيَّنًا في رسائله، بل من التأكيد على وجود أساس إلهي لكل ما يعلن وما به يبشّر. هكذا لا يعود السلام عملاً بشريًا وحسب، بل إنه عطية من علو، مؤسَّسةٌ على مشيئة الله التي لا

١– رج بولس الفغالي، **كتاب وصيّات الآباء الاثني عشر** (سلسلة "على هامش الكتاب"؛ منشورات الرابطة الكتابية، لبنان، ٢٠٠٠) ١٠٥–١١٤، خاصة ١١٠ حيث يترجم الفغالي كما يلي: "تكونون في سلام وتملكون إله السلام (ملاحظة ١٣ في أسفل الصفحة :ق روم ١٥:٣٣؛ ٢ كو ١٣:١١)، ولا تنتصر الحرب عليكم".

٢– Philon d Alexandrie, *De Somniis* 2,253

تريد موت الإنسان بل السلام والحياة له. فالله الذي يعطي الحياة، يلتزم بالحفاظ عليها وبتنميتها من خلال بسط سلامه على الجميع. السلام إذًا هو ذو مصدر إلهي، شاءه الله مالئًا الأرض كلّها، هو الذي لديه "فقط مشاريع سلام وليس مشاريع ويلٍ" (إر ١١:٢٩). هذا ما ينادي به بولس الذي يوجز وبشكل بديع فكرته حول السلام بقوله: "ليس الله إله فوضى، بل إله سلام" (١ كو ٣٣:١٤). هذا يعني أن السلام مرادف بامتياز للاستقرار وللنظام في جماعة ما، مثلاً، وهذا يسمح بالاستنتاج بأن السلام مرادف أيضًا وخاصة للمحبة، كما نستخلص من نشيد المحبة في ١ كو ١٣. وهنا نصل إلى مسألة ثالثة أساسية في هذا السياق، ألا وهي الصلاة، لأن مَن يصلي يتحوّل إلى مُحِبٍّ وإلى صانع سلام، لأنه يصبح مملوءًا من الروح القدس المُلهِم، والمُحكِّم، والمقوّي. وحدهم المنقادون بروح الله هم أبناء الله، هم أحرار، ومن ثَمَّ هم صانعو سلام وفق إرادة "إله السلام".

ونلاحظ أن بولس يستعمل التعبير "إله السلام" في مستهل رسائله في الغالب أو في ختامها؛ مثلاً: "إله السلام يكون معكم" (روم ٣٣:١٥؛ رج ٢ كو ١١:١٣؛ فيل ٩:٤)؛ "إله السلام يقدسكم جميعاً" (١ تس ٢٣:٥)؛ "إله السلام يسحق الشيطان سريعًا تحت أقدامكم" (روم ٢٠:١٦)؛ وفي عب ٢٠:١٣-٢١: "يجعلكم أهلاً لأن تتموا إرادته في كل خير". والصيغة الأهم والنموذجية هي في ٢ تس ١٦:٣: "فليعطكم السلامَ إلهُ السلام، في كل وقت وفي كل طريقة". نستنتج من هذه الصيغ أنها تضجّ بالمعاني الهامّة، أي: التقديس التام، وسحق الشيطان، وتثبيت كل خير، ونشر سلامٍ ثابت وشامل.

٢ - "إنجيل السلام"

بالمعنى المسيحي للكلمة، السلام هو مهمّة يقوم بمسؤوليتها وبأعبائها المؤمنون بالمسيح وبرسالة السلام التي بشّر بها. في الواقع، المسيحي "مدعوّ" إلى السلام: "وليملك سلام المسيح في قلوبكم، السلام الذي إليه دُعيتم في جسد واحد" (كول ١٥:٣؛ رج ١ كو ١٥:٧). إنه عطية من ربّ السلام، يتلقاها المؤمن، وعليه أن ينقلها إلى الآخَرين، الأمر الذي يفسّر معنى العبارة "إنجيل السلام"[٣] (أف ١٥:٦)، أي "التبشير" به. في الحقيقة، يتأسس السلام على المسيح ويتجذر فيه. فبالمسيح الوسيط (روم ١:٥) "صالح اللهُ الكلَّ له، صانعًا السلام بدم الصليب" (كول ٢٠:١)؛ "إنه هو سلامنا" (أف ١٤:٢)، ونحن نحصل على هذا السلام لأننا "مبرَّرون بالإيمان" (روم ١:٥).

انطلاقًا من التحية التي بها يتوجّه بولس إلى قارئيه في مستهل رسائله: "النعمة لكم والسلام من الله الآب، والرب يسوع المسيح" (روم ٧:١؛ ١ كو ٣:١؛ ٢ كو ٢:١؛ غل ٣:١؛ أف ٢:١؛ فيل ٢:١؛ كول ٢:١؛ ٢ تس ٢:١؛ ١ تيم ٢:١؛ ٢ تيم ٢:١؛ تيط ٤:١؛ فلم ٣)، نلاحظ أن بولس يربط بـ"الله الآب"، ليس فقط "النعمة"، بل أيضًا "السلام"؛ لذا فـ"سلام الله، الذي يفوق كلَّ فهم، يحفظ قلوبكم وأفكاركم، في المسيح يسوع" (فيل ٧:٤). إنه بالتالي سلام متجذر في سر الله الذي لا يُدرَك، "القادر أن يعمل وفق قوته العاملة فينا ما يتخطّى كلّ شيء، أكثر وأبعد مما نسأل أو نتصوّر" (أف ٢٠:٣).

إن سلام الله هو سلام "أبي ربنا يسوع المسيح" (أف ٣:١؛ ٢ كو ٣:١)، ويحمل قسمات يسوع بالذات، لذا فهو مسيحاني بامتياز.

من البديهي أن يكون يسوع المسيح في قلب البشارة ليكون الإنجيل حقًّا "إنجيل السلام"؛ توضح هذا التأكيدَ نصوصٌ ثلاث من بولس، هي التالية: روم ١٥:١[٤]؛ كول ٢٠:١[٥]؛ أف ١٤:٢[٦]. نذكّر أن صيغ التحيات في الرسائل الثلاث المذكورة، تجمع بطريقة نموذجية بين الله وبين يسوع: "من الله الآب، ومن يسوع المسيح ربنا" الذي "جاء بشركم بالسلام، أنتم البعداء، وبشّر بالسلام الأقرباء" (أف ١٧:٢). يرتكز التبشير بـ"إنجيل السلام" على تقدمة المسيح ذاته ذبيحة على الجلجلة، أي أنه دفع ثمن سلامنا غاليًا، وهذا ما نتبيّنه من تكرار كلمات "موت"، و"دم"، و"صليب" (روم ١٠-١:٥أ؛ كول ٢٠:١؛ أف ١٤:٢-١٦)،

٣- "إذًا فاثبتوا، متنطّقين بالحق، لابسين درع البر، ناعلين أقدامكم باستعداد إنجيل السلام" (أف ١٤:٦-١٥؛ رج ١٧:٢).

٤- "إذًا، وقد برِّرنا بالإيمان، فلنا سلامٌ مع الله بربّنا يسوع المسيح" (روم ١:٥).

٥- "... مسالمًا بدم صليبه ما على الأرض كان أم في السماوات" (كول ٢٠:١).

٦- "فإنه هو سلامنا، هو جعل الاثنين واحدًا، وفي جسده نقض العداوة، الجدار الأوسط الفاصل" (أف ١٤:٢).

مقابل ندرة استعمال كلمات تتعلق بـ"القيامة" (روم ٥:١٠ب). بالإضافة إلى ذلك، تبرز كول ١:٢٠ اللهَ أنه الفاعل الأول في عملية السلام. بالمقابل، في أف ٢:١٤ وما يلي، تبدو صورة المسيح وعمله أنهما في الواجهة؛ فبعد أن أكّد بولس أنه "سلامنا" (٢:١٤أ)، يوردُ عدةَ أفعال فاعلُها المسيح (آ ١٤ب-١٧)، والعمل الذي حققه هو فعلُ "خَلْق"[٧] (آ ١٥ب)؛ هنا يظهر المسيح أنه الفاعل الأول لخلقٍ يصفه الرسول بأنه "جديد" (أف ٢:١٥؛ رج غل ٦:١٥؛ ٢ كو ٥:١٧)، تحقق بدم يسوع المسفوك على الصليب. هذا يُفهمنا السببَ الذي لأجله يتكلّم بولس على "سلام المسيح": "وليملك **سلام المسيح** في قلوبكم"، كول ٣:١٥)، أي أن المسيح هو صانع سلام العهد الجديد، وهو ضامنه، لكونه أعطى العالم "سلامه" هو، ليس كالسلام الذي يعطيه العالم: "سلامًا أترك لكم، سلامي أعطيكم. ولست كالعالم أعطي" (يو ١٤:٢٧). هكذا يمر "**سلام الله**" بموت "**المسيح**"، ويصبح سلامًا "كريستولوجيًا" فريدًا. ولأنه **سلامٌ يتجذّر في الصليب**، باستطاعتنا التأكيد أن "سلام المسيح" مبني على تضحيةٍ، هي الأقصى، قدّمها يسوع بالذات عن الكثيرين.

ويضيف بولس أمرًا جديدًا، ألا وهو أن **السلام هو "ثمرة الروح"**: "أما ثمر الروح فمحبة، وفرح وسلام" (غل ٥:٢٢؛ رج روم ١٤:١٧: "الفرح والسلام"). لقد حقق الروح ما عجزت عنه الشريعة. المقصود هنا هو بالطبع روح الله، وتحديدًا "روح الابن": "فلأنّكم أبناء، أرسل الله إلى قلوبنا روحَ ابنه صارخًا "أبّا"، أيها الأب" (غل ٤:٦). في لائحة ثمر الروح المكوّنة من تسعة عناصر، يضع بولس "السلام" في المرتبة الثالثة، أي بعد "المحبة والفرح"، لعلمه أن "المحبة" عامل أساسي في صنع "السلام". وفي ١ كو ١٤، السلام الذي ينادي به بولس هو مرتبط حتمًا بالروح الذي يوزع المواهب على المؤمنين. كذلك في روم ٨:٦، يقول بولس: "تفكير الروح حياة وسلام". هكذا، كل الذين ينقادون بروح الله، يكونون في سلام، ويَهَبون السلام (رج روم ٨:١٤).

خاتمة

ممّا تقدّم، ولأنّ العالم متعطّش إلى السلام، ولأنّ "جدار العداوة" يرتفع من وقت إلى آخر في هذه البقعة من الأرض أو تلك، ولأنّ أبناء الله هم بُناة السلام، فبمستطاع هؤلاء -على مثال المعلم- أن "يهدموا جدران العداوة"، ويشيّدوا صروح السلام في العالم كله.

أوجه التشابه بين أفسس وكولوسي

أفسس	كولوسي
تحية ١:١-٢	تحيّة ١:١-٢
بركة ١:٣-١٤	شكر للكولوسيين ١:٣-٨
شكر وصلاة ١:١٥-٢٣	صلاة لأجل الكولوسيين ١:٩-١٤
نتائج الحياة مع المسيح ٢:١-١٠	تطبيق النشيد على الوضع في كولوسي ١:٢١-٢٣
وحدة اليهود والأمم المخلوقة بالمسيح ٢:١١-٢٢	سلطة بولس في اللاذقية واللاذقيّة ١:٢٤-٢:٧
الرسول كمفسّر للسرّ الإلهي ٣:١-١٣	مناقشة مع الخصوم : قوة المسيح القائم ٢:٨-١٥
صلاة وتمجيد ٣:١٤-٢١	مناقشة الخصوم: تحذيرات ضد ممارسات صوفيّة ٢:١٦-٢٣
وحدة الروح ٤:١-١٦	حياة جديدة على ضوء القيامة ٣:١-٤
أبناء المعصية وأبناء النور ٤:١٧-٥:٢٠	خطوط توجيهية خلقية لحياة جديدة ٣:٥-١٧
علاقات المؤمنين البيتية ٥:٢١-٦:٩	علاقات المؤمنين البيتية ٣:١٨-٤:١
القيام بمعركة مع الشرير ٦:١٠-٢٠	صلاة ورسالة واتصال بالذين هم في الخارج ٤:٢-٦
خلاصة : أمور خاصة وبركة أخيرة ٦:٢١-٢٤	خلاصة : ملاحظات خاصة وتحيات ٤:٧-١٨

٧- "فابطل شريعة الوصايا بما فيها من فرائض، ليخلق الاثنين فيه إنسانًا واحدًا جديدًا، منشئًا بينهما سلامًا" (أف ٢: ١٥).

أفسس بين الكتاب المقدس والتاريخ

الخوري بولس الفغالي

أفسس ذاك المرفأ الواسع في محافظة آسيا (تركيّا الغربيّة) الرومانيّة تأسّست، شأنها شأن عدد من المستوطنات اليونانيّة في أناتوليا (الأناضول الحالي) على الشاطئ. تحدّد موقعها بين نهر كايستر (Cayster) وبحر إيجيه. أمّا أقدم شاهد على الإقامة فيها فيعود بنا إلى الحقبة الميقانيّة (Mycènes) التي تعود إلى سنة ١٤٠٠-١٣٠٠ ق.م. ونحن نقسم تاريخ هذا الموقع ونوسّعه في أربع حقبات ترتبط بثلاث تلال صغيرة تعرف في التركيّة الحديثة كما يلي: بولبول داغ، بتايير داغ، أباسوليك. الحقبة الأعلى هي الحقبة الايونيّة التي تحدّث عنها سترابون في "الجغرافيا" (ص ٦٤٠): سيطر على المدينة المستوطنون اليونان منذ زمن أندروكلوس (حوالي ١٠٠٠ ق.م.) حتى حكم كريسوس (٥٥٠ ق.م.). أقاموا في الشمال، في بتايير داغ. والحقبة الثانية هي حقبة المدينة، امتدّت من كريسوس إلى ليسيماخس (٥٥٠-٣٠٠ ق.م.). في ذلك الوقت، أقام السكان في منطقة ارطاميس (Artemision) إلى الجنوب الغربي من أباسوليك. وفي الحقبة الثالثة، وهي الحقبة الهلّنستيّة والرومانيّة والبيزنطيّة الأولى، امتدّت المدينة في الوادي الفاصل بتايير داغ وبولبول داغ مع سور منيع. ونعمت أفسس بمرفأ أوّل اسمه بانورموس (سترابون ٦٣٩) ومرفأ ثان، المرفأ المقدّس، ذكره أتيناوس. ومن أفسس كانت تنطلق الطرق، فجعلت منها أعظم مركز تجاري في آسيا الصغرى وغربي طورس. وتحدّث شيشرون، خطيب روما، عن مواردها الطبيعيّة. وأشار تاتيتس في **الحوليات** (١٦: ٢٣) عن الجهود للمحافظة على المرفأ في عهد أباطرة روما، خوفًا من الطمس الذي يحمله نهر كايستر. ماذا يقول لنا الكتاب عن هذه المدينة، وماذا يقول التاريخ؟

١- أفسس والعهد الجديد

لا تُذكر أفسس في العهد القديم، ولا في الأناجيل. أمّا سفر الأعمال فيقدّم لنا في ف ١٩ خبرًا لافتًا عن حمل البشارة إلى هذه المدينة، التي لبث فيها بولس الرسول ثلاث سنوات. ولكن سبقه إلى هناك شخص مميَّز هو أبلّوس الذي لم يكن يعرف سوى معموديّة يوحنّا (أع ١٨: ٢٤-٢٦). كان من أهل الإسكندريّة، فصيحَ اللسان، قديرًا في شرح الكتب المقدّسة (آ ٢٥). ثمّ أخذه مسيحيّان معروفان، برسكلة وأكيلا، "وشرحَا له مذهب الربّ شرحًا دقيقًا" (آ ٢٦).

مرّ بولس في أفسس، وهو ماضٍ من كورنتوس إلى أورشليم. دخل إلى المجمع كعادته فلقيَ بعض التجاوب، وطلب منه اليهود أن يطيل الإقامة بينهم. ولكنّه مضى تاركًا وراءه برسكلة وأكيلا. وبعد عودته من أورشليم ودورته في آسيا الصُغرى مارًّا بأنطاكيا وغلاطيا وفريجيا، عاد إلى أفسس برفقة تيطس (أع ١٩: ١). فوجد هناك بعض المسيحيّين، وبجانبهم تلاميذ يوحنّا (الذين كانوا اثني عشر تلميذًا) الذين جهلوا الروح القدس. عمّد بولس هؤلاء ووضع عليهم يده. يلفت نظرنا وجود هذه الجماعة المرتبطة بيوحنّا المعمدان. فقد كانت هي وغيرها في أساس المندائيّة التي ما زالت آثارها حاضرة حتى اليوم في جنوب العراق.

وأمضى بولس ثلاثة أشهر يعلّم اليهود في المجمع. آمن كثيرون، وعاند البعض. ابتعد بولس عن هؤلاء، وجمع المؤمنين في مدرسة تيرانوس الذي كان معلّم البلاغة. ويقول النصّ الغربي إنّ بولس كان يعلّم فيها من الساعة الحادية عشرة إلى الساعة الرابعة بعد الظهر، أي في وقت الغداء والقيلولة، ساعة تفرغ المدرسة من طلاّبها. ويواصل سفر الأعمال: "ودامت هذه الحال مدّة سنتين، حتّى سمع جميعُ سكّان آسيا من يهود ويونانيّين كلام الربّ" (أع ١٩: ١٠). وما اكتفى الفريق الرسوليّ بالكلام، بل رافق كلامهم "معجزات عظيمة" (آ ١١). وامتدّت البشارة من أفسس إلى كولوسي مع أبفراس (كو ١: ٧)، كما وصلت إلى لاودكيا وميرابوليس (كو ٤: ١٣). فكما امتدّت الرسالة من كورنتوس العاصمة إلى كلّ منطقة أخائيّا في اليونان، كذلك امتدّت من أفسس إلى كلّ آسيا الصُغرى. تلك كانت طريقة بولس في حمل البشارة. يبدأ في مدينة كبيرة، ومن هذه المدينة يشعّ الإنجيل.

عرفت الرسالة صعوبات سوف نعود إليها في معرض كلامنا عن الفتنة التي حصلت في أفسس إكرامًا للإلَهَةِ أرطاميس. فمضى بولس إلى مكدونيا وأقام بضعة أشهر في كورنتوس ثمّ في فيلبّي. وفي بداية سنة ٧٥ عاد إلى أورشليم التي تسنّى أن يصل إليها في عيد العنصرة. فتوقّف في مرفأ ميليتس، وإلى هناك طلب شيوخ أفسس فأتوا إليه، وكان ذلك آخر اتّصال مع الجماعة التي أسّسها، مع كنيسة اللّه التي في أفسس. صوّر بولس للشيوخ رسالته في هذه المدينة الوثنيّة، ونقل إليهم وصيّته الأخيرة، وأعلن لهم أنّه "يقوم بينهم أُناس ينطقون بالأكاذيب ليُضلّوا التلاميذ" (أع ٢٠: ٣٠)، مثل هذا الكلام سوف تستعيده الرسالة إلى تيموتاوس الأولى (١: ١٩؛ ٤: ١) والثانية (١: ١٥). ويقول في الرسالة إلى أفسس: "لا يخدعكم أحد بالكلام الباطل، لأنّ ذلك يسبّب غضب اللّه على أبناء المعصية. فلا تكونوا لهم شركاء" (٥: ٦-٧).

من أفسس كتب بولس الرسالة الأولى إلى كورنتس. قال في ١٦: ٨: "وسأبقى هنا في أفسس إلى عيد يوم الخمسين"، أي عيد العنصرة. وأضاف في آ ١٩: "تسلّم عليكم كنائس آسيا (بعاصمتها أفسس)، ويسلّم عليكم كثيرًا في الربّ أكيلا وبرسكلة والكنيسة التي تجتمع في بيتهما". هناك كان أوّل اجتماع للمؤمنين حول بولس لسماع الكلمة وكسر الخبز، كما حصل مثلاً في ترواس (أع ٢٠: ٧-١٢).

وفي أفسس أقام يوحنّا، على ما يقول أوسابيوس القيصريّ في التاريخ الكنسيّ: "ترك يوحنّا الجزيرة، حيث نُفي، وأقام في أفسس" (٣: ٩). وشهد القدّيس إيريناوس في الردّ على الهراطقة: "أمّا كنيسة أفسس التي أسّسها بولس، وفيها أقام يوحنّا إلى زمن تريانس، فهي أيضًا شاهد حقيقيّ لتقليد الرسل (٣/٣: ٤). وسوف يقول يوستينوس في **حواره مع تريفون**: "عندنا رجل اسمه يوحنّا، أحد رسل المسيح، قد تنبّأ في سفر الرؤيا" (ف ٣١). كانت أفسس بين الكنائس السبع التي أرسل إليها رسائل، بل كانت الأولى. وقد قيل لملاكها أو لأُسقفها: "أنا أعرف أعمالك وجهدك وصبرك. وأعرف أنّك لا تطيق الأشرار، وأنّك امتحنت الذين يزعمون أنّهم رسل، فوجدتهم كاذبين... ولكنّي أعتب عليك لأنّك تركت محبّتك الأولى. فاذكر من أين سقطت وتُب وعُد إلى أعمالك الماضية" (رؤ ٢: ٢-٥). ولبثت أفسس مركزًا هامًّا للمسيحيّة مع قبر العذراء مريم وكنيسة يوحنّا. وفيها انعقد المجمع المسكوني الثالث (سنة ٤٣١) للردّ على نسطور في ما يتعلّق بأُمومة مريم ليسوع. وعُقد فيها أيضًا مجمع آخر، سنة ٧٨٧ حول إكرام الأيقونات.

ولكن تراجعت المدينة شيئًا فشيئًا، كما نُهبت حجارتها وأُخذت إلى إيطاليا أو إلى القسطنطينيّة. وفي سنة ١٣٠٨ استولى الأتراك على ما بقيَ من المدينة ونفوا سكّانها أو قتلوهم. وغطّت المدينةَ مياهُ فيضان نهر كايستر، بحيث نُسي موقعها كلّ النسيان. والناس يبحثون عنها اليوم في خرائب قرب سلوكيا (ايا سلوك: كلمة اللّه المقدّسة) في تركيا. فما هو تاريخ هذه

المدينة التي وصل عدد سكّانها إلى ٢٠٠٠٠٠ نسمة، والتي حلّت في المقام الأوّل بين مدن آسيا الصُغرى بسبب تجارتها الواسعة والنظام المصرفيّ فيها؟

٢ – تاريخ أفسس

بدأت التنقيبات في هذه المدينة الغنيّة بالآثار، منذ بداية القرن العشرين. توقّفت خلال الحرب، ولكنّها استعيدت، فساعدتنا على رسم تاريخ أفسس وعلى التحقّق من المعطيات الأدبيّة التقليديّة.

حسب سترابون كان أوّل من أقام في أفسس، سكّان كارية التي هي مدينة واقعة على شاطئ آسيا الصُغرى، التي استوطنها الفينيقيّون، وحسب باوسانياس هم الليديّون. أمّا ميليتس القريبة من أفسس فأسّسها الكريتيون (جزيرة كريت اليونانيّة). ونذكر هنا أنّ أفسس تبعد ٢٤٠ كلم عن طروادة، تلك المدينة التي شهرها هوميروس في الإلياذة. لعب الليديّون دورًا هامًّا في حوض البحر المتوسط، وتحدّثت عنهم نصوص سيتي الأوّل ورعمسيس الثالث.

أمّا وجود اليونان فيعود إلى بداية الألف الأوّل. قاد الحملة أندوكلوس ابن الملك الأثينيّ كودروس. تأسّست اثنتا عشرة مدينة سُمّيت الحلف الأيوني مع أفسس التي هي المركز الملكي في ايونية (سترابون، الجغرافية ٦٣٣). وحين جاء كريسوس من ليديا، بنى فيها هيكل ارطاميس، فمزج الفنّ اليونانيّ مع الفنّ الأسيوي. ولمّا هُزم كريسوس أمام كورش الفارسيّ، الذي سيطر على المنطقة سيطرة كاملة بانتظار أن يهاجم خلفاؤه اليونان في ما يُسمّى "حروب الماديّين" (القرن الخامس ق.م.)، أقامت أفسس علاقات طيّبة مع الفرس. ولكن بين هزيمة الفرساني سلامينا (٤٨٠ ق.م.) وحكم ليزيماخس، خليفة الإسكندر، عرفت أفسس عددًا من الصراعات. في زمن جمهوريّة روما، مالت المدينة إلى هذه "الأمبراطوريّة الصاعدة"، وعبدت الإلاهة روما. ولكنّها ستدفع الثمن غاليًا بعد تحالفها مع متريداتيس، ملك البُنطس. زارها أنطونيوس وكليوبترا في شتاء سنة ٣٣-٣٢. ثمّ عرفت ازدهارًا كبيرًا مع الأباطرة الرومان بدءًا بأوغسطس. فصارت عاصمة آسيا الرومانيّة، بعد أن خضعت بعض الوقت لبرغاموس القريبة. ودُعيت "حاضرة آسيا الأولى والكُبرى". وما يشهد على ذلك الأبنية التي شُيّدت هنا وهناك: قنوات المياه، تبليط الشوارع، توسيع الساحات. فيها بُنيت البازيليك الملكيّة، هيكل روما ويوليوس قيصر، هيكل دوميسيانس، وهيكل أوغسطس.

لبثت أفسس في أيّام الأباطرة الرومان، حتى القرن الثاني ب.م.، وهجمة الفراتيّين الآتين عبر بلاد الرافدين، والقوط الآتين من روسيا. وأخذت تتراجع، شأنها شأن مدن الساحل الأيونيّ، بسبب القلاقل الداخليّة: صراع بين الولاة مع قتل هذا أو ذاك، اضطهاد المسيحيّين، تدخّل الفراتيّين السافر في سياسة المدينة. في القرن الثالث، تدمّر القسم الأكبر من هيكل أرطاميس على يد القوط، وتوالت الزلازل بين القرنَين الرابع والسابع بحيث صارت أفسس بلدة صغيرة قريبة من القرية، بانتظار أن تصبح خرابًا كما هو الحال الآن.

ونعود إلى النصوص المتحدّثة عن بناء أفسس. الأوّل كريوفيليس في **الخوليّات الأفسسيّة**. قال: "إنّ الذين أسّسوا أفسس وجدوا نفوسهم أوّلاً في موقع غير مؤاتٍ. في النهاية، أرسلوا يسألون الإله: في أي موضع تُبنى المدينة؟ فأجابهم الإله: في موضع تشير إليه سمكة، ويقودكم خنزير برّيّ... حينئذٍ تركوا الجزيرة التي أقاموا فيها عشرين سنة، وعبروا المضيق فاحتلّوا تريخيس وكوراسوس".

الثاني هو باوسانياس (القرن الثاني ب.م.) في مقطع من **إيفورس**: "أقام في الأرض الليليجيّون الذين هم فرع من الشعب الكاريّ وأكثريّة الأمّة الليديّة.

فالليليجيّون والليديّون الذين أقاموا في المدينة العالية، طردوا من المنطقة على يد كودريس (آخر ملوك اثينا، القرن ١١). أمّا السكّان الذين أقاموا قرب الهيكل، فما

أسيء إليهم، لأنّهم لبثوا على الحياد، خلال المعركة... وبعد أن مات اندوكلوس دُفن في أفسس. ويُرى إلى اليوم مدفن البطل، على الطريق التي تنطلق من المعبد لتصل إلى الأولمب على باب مغنيزيا: صورة رجل جُعل السلاح على رأسه".

والنصّ الثالث يورده سترابون (٥٨ ق.م.-٢١ ب.م.): "كان سكّانُ المدينة الأوّلون الكاريّين والليليجيّين. طرد اندروكلوس معظمهم. ثمّ أعانه المهاجرون الذين رافقوه، فأسّس حول أتينايون وهيبيليس مدينة أضاف إليها منحدرات الأرض الواقعة على سفح كوريوس. وتوقّفوا، في ذلك الوقت عند هذا الحدّ".

الجزيرة التي ذكرها كريوفيليس هي جزيرة سيريا التي التصقت بالساحل في عهد بلينوس. والمرفأ المقدّس هو الحوض القريب من أرطاميون (موقع هيكل أرطاميس). وأكروبول (قلعة) باوسانياس يقع على تلّة أياسلوك.

حين دخل أهل اليونان إلى المنطقة، جعلوها كلّها في حلف سياسيّ وديني. ولكن هذا الحلف سينحلّ بيد الفرس بعد ثورة ٤٩٩-٤٩٣ ق.م. ثمّ أُعيد تكوينه مع الإسكندر الكبير، ولبث كذلك حتى الإمبراطوريّة الرومانيّة.

هنا نشير إلى أنّ سلالة كودريس حقّ لها وحدها اللقب الملكي والرموز الملكيّة.

احتلّ كريوس (٥٦١-٥٤٦) أفسس، ثمّ كان لها دستور ديموقراطيّ جاء به من أثينا أرسترخوس، سنة ٥٥٥. وظلّت تعمل به حتّى السيطرة الفارسيّة في آسيا. مع انتصار الإسكندر الكبير في فرانيك سنة ٣٣٤، تحرّرت المدن الإيونيّة، ومنها أفسس التي ستعرف فترة طويلة من القلاقل بانتظار وصول روما. ففي سنة ١٣٣ ق.م. كان لأفسس وسائر المدن اليونانيّة القريبة منها الاستقلال، تنظيم بلديّ مع مجلس أمناء، تدبير المال تدبيرًا مستقلاً، ممارسة العدالة، إمكانيّة اللجوء إلى روما إنْ وقعَ نزاعٌ خارجيّ أو داخليّ. غير أنّ الضرائب كانت قاسية على عاصمة آسيا وعلى معبدها. لهذا كانت ثورة بعد ذهاب كاسيوس، وتحالف مع ميتريداتيس. طالت الحرب إلى سنة ٨٤ ق.م.، فدخل سيلا المدينة ودمّرها وأعطاها نواة دستور. وتواصل ازدهار أفسس على يد عددٍ من الولاة الرومان. لبثت هي الأولى رغم مطالبة برغاموس وسميرنا (إزمير الحاليّة). وقد أمر الامبراطور كراكلاّ جميع ولاة آسيا بأن ينزلوا فيها قبل أن يتوجّهوا إلى مراكز عملهم. دُمّرت على يد القوط سنة ٢٦٣، وتابعت انحطاطها، وهي المدينة الوثنيّة الشهيرة، حين اهتدى الإمبراطور قسطنطين إلى المسيحيّة.

خاتمة

تلك كانت مسيرتنا للتعرّف إلى مدينة أفسس (معنى الإسم اليوناني: "المرغوبة")، التي ارتبطت بها رسالةٌ بولسيّةٌ ارتباطًا عميقًا. هذه المدينة الوثنيّة استقطبت الجماهير الغفيرة بسبب هيكلها المكرّس لأرطاميس. هذه المدينة اليونانيّة صارت رومانيّة، وبدأ انحطاطها مع دخول الأباطرة في الدين المسيحي. هذه المدينة استقبلت بولس والفريق الرسوليّ، ويوحنّا وجماعته، واحتضنت قبر العذراء مريم، كما يقول التقليد. هذه المدينة هي خراب اليوم، وتملك من الآثار ما لا تملكه أيّة مدينة في أيونيا. هي ميتة على مستوى تركيّا الحاليّة، ولكنّها حيّة بما تركت لنا من آثار مسيحيّة. منها انطلقت الرسالة الأولى إلى كورنتوس. وإليها أُرسِلَت الرسالةُ إلى أفسس. وكانت مركز الجماعة اليوحنّاويّة التي تركت لنا الإنجيل الرابع والرسائل الثلاث وسفر الرؤيا. أما يحقّ لنا أن نتعرّف إلى تاريخها وجغرافيّتها بانتظار أن نكتشف الآثار التي ما زالت ماثلة للعين فيها، ولا سيّما هيكل أرطاميس الذي ظلّ أجيالاً وأجيالاً قبلة العين في آسيا الصُغرى؟ واليوم حلّت محلّه كنيسة القدّيس يوحنّا.

المراجع

دائرة المعارف الكتابيّة (وليم وهبة)، المجلّد الأوّل، دار الثقافة، ١٩٨٨، ص ٣٤٧-٣٥٠.
الفغالي بولس، **رسالة القدّيس بولس إلى أهل أفسس**، محطّات كتابيّة ٢، الرابطة الكتابيّة، ١٩٦٦.

AKURGAL E., *Civilisations et sites de Turquie*, Istanbul, 1986.
ANTOINE P., "Ephèse", in *Dict. Bible Suppl.* (I-II, Louis, Letouzey, 1934) col. 1076-1087.
BOARDMAN J., *The Greek Overseas*, London, 1980.
DEBORD P., *Aspects sociaux et économiques de la vie religieuse dans l'Anatolie gréco-romaine,* in EPRO 88, Leiden, 1982.
MAGIE D., *Roman Rule in Asia Minor to the Third Century After the Christ,* vol. 1-2, Princeton, 1950.
OJR. R. E., "Ephesus", in *Anchor Bible Dict.* (II, Doubleday, New-York, 1992) 542-549.
REBUFFAT F., "De la cité grecque à la métropolie romaine", in *Le Monde de la Bible*, 64 (1996) 4-9.
ROSTOVZEFF M. I., *Histoire économique et sociale de l'Empire romain,* Paris-Laffont, 1957.
SAULNIER C., "Ephèse", in *Dict. Enc. de la Bible* (Brepols, 1987) 416.
TONNEAU R., "Ephèse au temps de Saint Paul", in *Revue Biblique* 38 (1929) 5-54; 321-363.
WHYCHERLEY R. E., *How the Greeks Built Cities,* New-York, 1962.

أقام بولس طويلاً في أفسس يبشّر بالإنجيل

مشهد من مسرح أفسس ومن طريق الأعمدة

سلسلة
صفحات روحية
١٥
إدفعوا الكيس
الخوري بولس الفغالي
٢٠٠٤

ينابيع الإيمان
٨
إفرام السرياني
أناشيد الصوم والفطر والصليب والقيامة
قدّم لها ونقلها إلى العربية
وكتب حواشيها
الخوري بولس الفغالي
منشورات
الجامعة الأنطونية

ما العلاقة بين الرسالة إلى أهل أفسس والرسالة إلى أهل قولوسي؟

الأخت ماري لويز – شهوان

مقدمة

قولوسي مدينة في جنوب مقاطعة فريجيا، في أواسط آسيا، قريبة من اللاذقية، وعلى مسافة ٢٠٠ كلم من شرقي أفسس. بشّر بولس في فريجيا، في جولتَيه الثانية والثالثة، وهو ماضٍ إلى أفسس. لكنه لم يصل إلى مدينة قولسي ولا مرّ باللاذقية (قو ١:٢). إذاً يكتب إلى كنيسة ما زارها ولا أسسها، بل تلميذه أَبَفرَا هو مؤسِّسُها، وهو مَن نقل إلى معلِّمه إيمانَها ومحبّتَها وأخبارَها (قو ١:٧-٩). على أثر ذلك، كتب بولس رسالة وجّهها إلى كنيسة قولسي مع رفيقه طِيخِيكس: "الأخ الحبيب، والخادم الأمين، رفيق خدمتي في الرب" (قو ٤:٧).

الرسالة إلى أهل قولسي صغيرة الحجم (أربعة فصول)، وتلك التي إلى أهل أفسس لا تعدّ أكثر من ستة فقط. على عكس التحية العامة التي بدأ بها بولس رسالتَه إلى أهل أفسس (وهي نادرة في رسالته)، فإنه يحيّي مخاطبيه في كنيسة قولسي بالاسم، ويذكر، أول من يذكر، طيموتاوسَ الأخ: "من بولس، رسول المسيح يسوع بمشيئة الله، وطيموتاوس الأخ، إلى الإخوة في المسيح القديسين في قولسي" (قو ١:١-٢). الرسالة موجهة إلى جماعة معيّنة معظم أهلها من أصل وثني، أراد بولس أن يُشركهم في الخلاص: "أنتم الذين كنتم من قبل مبعدين وأعداء بالفكر الموغل في الاعمال الشريرة، قد صالحكم الآن" (١:٢١-٢٢).

تتميز هاتان الرسالتان عن باقي رسائل بولس بالتّشابه بينهما، حتّى قال عنهما بعض الباحثين إنهما توأمان إلى حدّ ما.

١- ما العلاقة بين الرسالتين إلى أفسس وقولوسي؟

يتجه معظم شرّاح الكتاب المقدس إلى الإقرار بالتشابه بين الرسالتين من نواحي عديدة:

أولاً: إنهما تُعَدّان من "رسائل الأَسْر"، وبالتحديد في روما، في إطار تاريخي واحد (بين السنتَين ٦١ و٦٣)، والشهود هم الرفاق الذين يذكرهم في الرسالتين، والضيق والألم والحالة الصعبة التي مرّوا بها وهم في السجن: "إني أفرح الآن بالآلام من أجلكم، وأُتمّ في جسدي ما نقص من مضايق المسيح" (١:٢٤). وفي آخر الرسالة يذكّر مُحبِّيه بقيوده الشديدة الوطأة عليه: "السلام بيدي أنا بولس. تذكّروا قيودي. النعمة معكم!" (٤:١٨). وكما ورد في الرسالة إلى أهل قولوسي عن أَسْر بولس، كذلك نرى ذات المراجع تتكرر في الرسالة إلى أهل أفسس: أف ٣:١، ١٣؛ ٤:١؛ ٦:٢٠؛ كلها مراجع تذكر حالات الضيق في السجن، ولكنه يوجّه هذه الآلام إلى يسوع الذي مات بسبب ظلم البشر؛ لذا يعتبر أن مبدأ خلاص العالم يكمن هنا، ولا يدّعي أنه يتألم أكثر من المسيح معلّمه، بل يكمل – نوعًا ما – ما نقص من آلام سيّده.

ثانيًا: إن وجه الشّبه بين الرسالة إلى أهل أفسس، وبين الرسالة إلى أهل قولوسي، يتناول كلاهما الإنشاء أيضًا. فهناك التبسّط في الأمور الطقسية، والتشابه في الألفاظ،

وكثرة المرادفات والتأثّر بالأفكار الحكمية. وميزات الرسالة إلى أهل قولوسي هي الأبرز. أما العبارات السامية، فهي أكثر عدداً في الرسالة إلى أهل أفسس.

ثالثًا: إن تقسيمَ الرسالة وطريقةَ عرض المواضيع متشابهان في كلٍّ منهما؛ فكلاهما يبدأان بقسم عقائدي يُظهر مجدَ المسيح وعظمةَ قصده، وكلاهما يُعنيان بتطبيق هذا على الحياة الشخصيّة، وكلاهما يُعطيان بعد ذلك نصائح خاصة بالعلاقات البشرية. في هذا الإطار، هناك أقسام بكاملها متشابهة، مثلاً: أف ١:١٥ وما يلي، وقو ١:٣ وما يلي. يقدم بولس الشكر لأجل القرّاء، ويصلّي لأجلهم، وذلك بالطريقة عينها. هناك تقارب أوضح في التعاطي مع موضوع الحياة المسيحية، وخاصة عندما يتحدث عن خلع الإنسان العتيق ولبس الجديد (أف ٤:١٧ وما يلي؛ قو ٣:٥ وما يلي).

رابعًا: تشمل المقاربة عبارات خاصة بهاتين الرسالتين فقط، نادراً ما تصادف في باقي رسائل القديس بولس، وتأخذ ذات المعنى:

- "ملء المسيح" (أف ١:٢٣ و٣:١٩ و٤:١٣؛ قو ١:١٩ و٢:٩).
- "أجنبيين عن الله أو عن شعبه" (أف ٢:١٢ و٤:١٨؛ قو ١:٢١).
- "مفتدين الوقت" (أف ٥:١٦؛ قو ٤:٥): هذا التعبير يحمّله بولس معاني كثيرة، لكن في الرسالتين يأخذ معنى نهيويًا.
- "متأصلين في المسيح أو في محبته" (أف ٣:١٨؛ قو ٢:٧).
- "الذي لنا فيه... مغفرة الخطايا" (أف ١:٧؛ قو ١:١٤).
- "كلمة حق في الانجيل" (أف ١:١٣؛ قو ١:٥)
- "محتملين بعضكم بعضًا" (أف ٤:٢؛ قو ٣:١٣)
- "الطمع الذي هو عبادة الأوثان" (أف ٥:٥؛ قو ٣:٥). وهناك الكثير من التعابير الأخرى التي تتشابه، لكن هذه الآيات تتطابق بمعانيها.

خامسًا: إن العلاقة بين العقيدة في أفسس، وبين العقيدة في رسائل بولس الأخرى هو صحيح، ولكن بصفة خاصة بالنسبة إلى قولسي. ففي هذه الرسالة نجد شرحًا عظيمًا عن مكانة المسيح في الكون، هو المالىء الكون، وهذا ما تفترضه رسالة أفسس، ولكنها تذهب أبعد لتظهر مركز الكنيسة في كل العالم التي تُتمّ عمل المسيح على الأرض. في قولسي تأكيد على مصالحة الناس مع الله بالصليب، وفي أفسس هذه المصالحة أمر مسلَّم به لا بل بطريقة أشمل هناك مصالحة مع بعضهم البعض بواسطة الصليب الذي هو شركة وأداة مصالحة.

سادسًا: للتذكير فقط، حامل الرسالتين إلى أصحابهما، يُذكر في نهاية هاتين الاثنتين، وهو طيخيكس.

سابعًا: لا بد من جمع معظم الآيات المتشابهة في لوحة إزائية، كما وردت **في الترجمة البيبلية المسكونية**، مما يسهّل ويؤكد تقارب هاتين الرسالتين، وكأن الواحدة تكمل الأخرى:

أفسس	قولسي
١:٦–٧	١:٣–٤١
١:١٣	١:٥
١:١٥	١:٩
١:١٥–١٦	١:٣–٤
٢:١–٥	٢:١٣
٢:٢–٣	٣:٧
٣:١–١٣	١:٢٤–٢٩
٤:١٥–١٦	٢:١٩
٤:٢٢–٢٤	٣:٩–١٠
٥:٦	٣:٦
٥:١٩–٢٠	٣:١٦–١٧
٥:٢١–٩:٦	٣:١٨–٤:١
٦:١٨–٢٠	٤:٢–٤
٦:٢١	٤:٧–٨

هذه اللوحة الإزائية لا تمنع من أن يكون هناك بين الرسالتين إلى أفسس وقولسي لغز من جملة ألغاز العهد

الجديد التي يصعب حلّها، وإلى الآن لم يُعثَر على حلّ مرضي دقيق. وهذه أهم الافتراضات:

أ - قليلون هم مَن يعتبرون الرسالة إلى أهل أفسس مؤلَّفًا لبولس، نقّحه كاتب الرسالة إلى أهل قولسي، ونسبها إلى بولس لتأخذ نفس الأهمية التي لمعلّمه.

ب - إن الرأي الأكثر شيوعًا هو أن الرسول بعث بهاتين الرسالتين في وقت يكاد يكون واحداً إلى الكنيستين، فاستوحى من قولسي (الأولى) ما كتب في أفسس (الأخرى)، مما يستنتج أن أفسس هي عصارة فكر بولس، وتأتي في المرحلة الاخيرة. لكن أغلبية اللاهوتيين يرجّحون أن فكر بولس تطور، وتوسعت آفاقه. لذا نرى أن بولس من سجنه في روما، أراد أن يترك للجماعتَين عصارة تأمّلاته حول سر الخلاص وسر الكنيسة.

باختصار، ثلث مفردات قولسي وارد في الرسالة إلى أهل أفسس، لكنّ قولسي تُهمل كلمات بُولُسِيّة مميزة مثل: الشريعة، البر، الحرية، الخطيئة... كل ذلك مردّه إلى محيط ديني وحضاري جديد مختلف، عاشه المؤمنون في فلسطين وفي خارجها متأثرين بالفكر الكتابي القديم. أضف إلى ذلك أن الرسالتين، أفسس وقولسي، تتفردان بذكر طيخيكوس "الاخ الحبيب" حامل الرسالتين إلى الكنيستين، وهو مميز بين باقي الرفاق الذين لازموا بولس في سجنه مدة أسره في روما.

٢ - المفارقات بين الرسالتين

يرى بعض شراح الكتاب المقدس المعاصرين أن الرسالتين تختلفان مضمونًا في مواضيع عقائدية أساسية. صحيح أننا نجد في أفسس مجمل الأفكار التي تتضمنها قولسي. لكن أفسس توسّعت فيها وبدّلت النظرة تبديلاً عميقًا.

- التلميحات المباشرة في قولسي إلى عبادة الملائكة، وإلى ممارسات من النمط اليهودي، قد زالت: "إن كنتم قد متّم مع المسيح عن أركان العالم، فلماذا تركمون على أنفسكم فرائض، كأنكم ما برحتم تعيشون في العالم... أمور كلها وفق وصايا البشر وتعاليمهم، مآلها الفساد إذا استعملت!" (قو ٢:٢٠ي).

- ركزت قولسي على سر المسيح، ولم تتحدث عن عمل الروح، غير مرة واحدة فقط: "وقد نقل إلينا محبتكم في الروح" (قو ١:٨). لا ذكر "للروح" إذًا في هذه الرسالة، أما في أفسس فعرضت سرّ المسيح والكنيسة، فكانت من أهم النصوص حول الإكليزيولوجيا في العهد الجديد. بالإضافة إلى ذلك، شددت أفسس بشكل خاص على الروح القدس: به خُتمنا (أف ١:١٣)، وبالمسيح نصل إلى الآب "بروح واحد" (٢:١٨).

- استعادت أفسس المواضيع الكبرى في الرسالة إلى الرومانيين، لا سيّما شمولية الخطيئة والبر والايمان، العلاقة بين اليهود والوثنيين؛ هذا ما لا نجده في قولسي. ثم الطريقة التي بها نعالج المسألة اليهودية في أف ٢:١٤-١٧، هي غير ما نجد في روم ٩-١١.

من هنا نستنتج أننا لا نستطيع القول إن أفسس هي استعادة لقولسي، وقد دوّنت بعد ذلك ببضعة أشهر، كما رأينا في عرض سابق.

المفارقة الواضحة بين الرسالتين هي في أف ١:١١-١٤ حيث يعبّر بولس عن واقع الخلاص التاريخي أولا لشعب التوراة القديم، وهو يعتبر نفسه هذا الشعب، وبعدها الوثنية بغير استثناء. "اختارنا ميراثًا له"، "جُعلنا ميراثًا". لقد اختار الله شعب التوراة ميراثًا له، ليكون شاهداً له أمام العالم، في رجاء مجيء المسيح. لم يكن امتياز إسرائيل عرقيًا وقوميًا، بل نتيجة اختيار حرّ مجّاني من الله، فحمّله رسالة الرجاء إلى جميع الشعوب، ليصبّ في المسيح يسوع كلّ تاريخ البشر على السواء. وأيضًا دعا الأمم جميعهم إلى المشاركة في الخلاص الشامل الأبدي. المسيح هو نقطة الدائرة في تاريخ البشر، وملتقى دروب الناس أجمعين.

إن فكرة الخلاص الشامل التي شدد عليها بولس في هذه الرسالة، قد راودته طيلة حياته، وإذا أردنا أن نختصر موضوع الرسالة إلى أهل أفسس، فهي تعالج فعالية عمل الله في التاريخ، عمل تجلّى في حدث قيامة الربّ يسوع من بين الأموات. هذا ما تفتقر إليه الرسالة إلى أهل قولسي.

خاتمة

- **لاهوت الرسالة إلى أهل قولسي:** إذا تشعبت الآراء حول تاريخية الرسالة إلى بولس ونسبتها إليه، فإنها تأتلف بأن الرسالة إلى أهل قولسي توافق جوهريًا الموقف الذي عبّر عنه في غير رسائل، وهو أننا ندرك الكمال في المسيح؛ إنه كل شيء من أجلنا ومن أجل مصيرنا وحياتنا. يحذّر الرسول من العودة إلى الشريعة، ومن الاتكال على أصحاب القوة والنفوذ على حساب المسيح لأنّ في ذلك عودة إلى العبودية. المسيح رأس الكون ولا سلطة فوقه، وهو الذي مات وقام مرة واحدة، وأننا متّحدون به مرة واحدة.

- **لاهوت الرسالة إلى أهل أفسس:** ترفع الرسالة إلى أهل أفسس إلى المستوى الشمولي ما ورد في غير رسائل من تطور رعائي عملي. كانت الكنيسة مرتبطة بالزمن، تعيش في التاريخ، فأخذت تبدو وكأنها أبدية. ورد في الرسالة إلى أهل قولسي أن الكمال يحل في المسيح، وأما في الرسالة إلى أهل أفسس، فإن الكنيسة هي كمال المسيح، وما قيل في المسيح من أنّه رأس الكون، أصبح يُقال في الكنيسة.

- **فالرسالتان** تصلحان أن تُقرءا كما أرادهما رسول الأمم. فإنّهما تعبير عن خلاصة لاهوته واختباره للمسيح، لاسيّما لأنهما تُعتَبَران عصارة تفكيره (خاصة أفسس) في أواخر حياته التبشيرية.

المراجع

١ - **إونجليون ، الكتاب المقدس، العهد الجديد، الرسائل والرؤيا**، كلية اللاهوت الحبرية، جامعة الروح القدس–الكسليك، لبنان ١٩٩٢.

٢ - **الكتاب المقدس**، دار المشرق، المكتبة الشرقية، بيروت ١٩٨٨.

٣- الخوري بولس الفغالي، **المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم**، المكتبة البولسية، جونيه – لبنان ٢٠٠٣.

٤ - لجنة من اللاهوتيين (مجمع الكنائس في الشرق)، **قاموس الكتاب المقدس**، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧١.

٥ - الخوري بولس الفغالي، **تعرّف إلى العهد الجديد مع شهود عديدين**، دراسات بيبلية ٥، الرابطة الكتابية، لبنان ١٩٩٤.

٦ - الخوري بولس الفغالي، **رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس**، محطات كتابية ٢، البوار، ١٩٩٦.

٧ - فرانسيس فولكس (تعريب القسّ أنسى عبد الملك)، **التفسير الحديث للكتاب المقدس، العهد الجديد، الرسالة إلى أفسس**، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٠.

1 - *Traduction Œuménique de la Bible,* Le Nouveau Testament,Cerf : Paris, 1961.

2 - P. Benoît, *Exégèse et théologie*, 2, Cerf : Paris, 1961.

3 - M. Carrez, *Lettres de Paul, de Jacques, de Pierre et Jude*, Desclée : Paris 1983.

4 - E. Cothenet, *Les épîtres aux Colossiens et aux Ephésiens*, Cahiers Evangile 82, Paris 1992.

رسالة بولس إلى الأفسسيين : لمحة عامة

رسالة القديس بولس إلى الأفسسيين ذات أهمية كبرى من حيث معالجة موضوع **الكنيسة** بشكل عام، إذ أنها لا تركّز على جماعة محدّدة، هي جماعة مدينة أفسس في آسيا الصغرى، بل على الكنيسة بالمعنى الأشمل للكلمة، التي "رأسها المسيح" (أف ٤:١٥)، والتي هدفها أن تكون أداةً لجعل تصميم الله الخلاصي معروفًا في كلّ الأرض: "لي أنا أصغر القديسين جميعًا، وُهِبت لي هذه النعمة، أن أبشر الأمم بما للمسيح من غنىً لا يُستقصى، وأن أجعل في النور للجميع ما هو تدبير السرّ المكتوم منذ الدهور في الله الذي خلق كلّ شيء" (أف ٣:٨-١٠). إنّ هذه **الإكليزيولوجيا** هي متجذرة في محبة الله الخلاصية، التي تجلّت في المسيح يسوع (أف ٢:٤-١٠)، وكلّ العمل الخلاصي هو متجذّر في تصميم الله الثالوث وفي تتميمه (١:٣-١٤). لغة الرسالة هي غالبًا لغة التمجيد (١:٣-١٤) والصلاة (رج أف ١:١٥-٢٣؛ ٣:١٤-١٩)، وبالطبع لغة الليتورجيا والأناشيد (٣:٢٠-٢١؛ ٥:١٤).

تشدّد فصول الرسالة على الوحدة في **كنيسة المسيح** التي جمعت معًا اليهود والأمم في بيت الله (١:١٥-٢:٢٢، خاصة ٢:١١-٢٢)، وتشدّد على **مواضيع** جوهرية، هي: الكنيسة، والروح، والرجاء؛ إله واحد، إيمان واحد، وعماد واحد (٤:٤-٦). ليس الاهتمام بالكنيسة من أجل ذاتها، بل بالأحرى من أجل رسالتها في العالم (٣:١-٤:٢٤). إن العطايا التي يهبها المسيح لأعضائها هي من أجل أن تؤدّي إلى نموّهم وتجدّدهم (٤:٧-٢٤). ولا يغيب عن بال كاتب الرسالة التنبيه والتحذير والإرشاد، لذا، نجد كل وجوه الحياة البشريّة والعلاقات بين الناس، وقد سلّط عليها ضوء المسيح (٤:٢٥-٦:٢٠).

على ما يبدو، وجّه بولس الرسالة إلى المسيحيين الذين في **أفسس** ("من بولس، رسول يسوع المسيح بمشيئة الله، إلى القديسين الذين هم في أفسس"، ١:١)، وهي المكان الذي فيه عمل الرسول حوالي السنتين ("ثم أتى بولس أفسس... ودخل المجمع، وعلى مدى ثلاثة أشهر كان يتكلّم بجرأة مجاهداً في ملكوت الله ومقنعًا... وخلا بالتلاميذ، وكان يحدّثهم كل يوم في مدرسة تيرينّوس، واستمرّ ذلك سنتين"، أع ١٩:١٠).

لكنْ تُثير التساؤل **النبرةُ غير الشخصية** لهذه الرسالة الموجّهة إلى جماعة كان لبولس معها علاقة متينة (رج أف ٣:٢؛ ٤:٢١). لا توجد فيها تحيّات شخصيّة، بل عمومية، كما نقرأ في ٦:٢٣: "سلام للإخوة ومحبة". وذات مدلول أكبر أيضًا هو أنّ مخطوطات قديمة جداً وهامّة تحذف كلمتَيّ "في أفسس" (راجع أف ١:١)[١]. مع هذا ينظر الكثيرون إلى هذه الرسالة على أنها **رسالة عامّة** بعثها الرسول إلى عدد من

١- يُثبت وجودَ كلمتَيّ "في أفسس" المجلدان الاسكندري والغربي ومخطوطات كبرى عدّة، ومعظم الترجمات القديمة، ويُهملها البردي ٤٦، والمجلّدان السينائي والفاتيكاني.

الكنائس في آسيا الصغرى[٢]، والمرسَل إليهم يُحدّدون في كلّ مكان بواسطة ناقل الرسالة، أي تيخيقوس (٦:٢١-٢٢). ويعتقد آخرون أنّ الرسالة إلى الأفسسيّين هي تلك التي تُشير إليها كول ٤:١٦ على أنّها "إلى اللاَّوُدِيقِيّين"[٣]. إنّ بولس، الذي يُشار إليه على أنّه واضع الرسالة الوحيد في أف ١:١، يوصَف وبتعابير تقريبًا لا موازيَ لها، بالاستناد إلى الدور الهام الذي كان له في تصميم الله، والقاضي بحمل الأمم على الإيمان بالمسيح (٣:١-١٢).

من المؤكد أنّه، عند تحرير الرسالة، كان **بولس في السجن** ("فلذلك أنا بولس أسير المسيح يسوع من أجلكم"، ٣:١؛ "فأطلب إليكم إذاً أنا الأسير في الرب..."، ٤:١؛ "...فأعرّف سرّ الإنجيل الذي من أجله أنا سفير في سلاسل"، ٦:٢٠)، ويُعاني العذابات (٣:١٣).

تقليديًا، **تؤرَّخ** "رسالة الأسر"، هذه كما الرسائل إلى الكولوسيين، والفيليبيين وفيليمون، بالارتباط مع سَجن الرسول في روما، وعلى ما يبدو ما بين العامين ٦١ و٦٣. لكن هناك مَن يعتقد أن السجن كان قبل هذا التاريخ، ومن المحتمل أن يكون في قيصرية (أع ٢٣:٢٧-٢٧:٢).

من حيث **نسبة الرسالة إلى بولس**، أخذ العديد من النقّاد، منذ أوائل القرن التاسع عشر، واستناداً إلى أسلوب الرسالة ومفرداتها (خاصة عند مقارنتها مع كولوسي)، ونظرتها إلى الكنيسة، ومواضيع أخرى عقائديّة، يشكّون بأن تكون من رسائل بولس. بالتالي من المرجّح أن يكون أحد معاوني بولس قد خطّها تحت إشرافه، أو أحد تلاميذه الذي سعى إلى أن يوسّع أفكار بولس ويجعلها مناسبة لحالة جديدة حوالي السنوات ٨٠ إلى ١٠٠ ب.م.

٢- يرى عدّة شرّاح أنّ الرسالة موجّهة إلى عدّة كنائس في آسيا الصغرى، وأنّ النسخة الأصليّة لم تكن تحمل اسم أي كنيسة، بل كان يُضاف اسم الكنيسة على النسخة التي تُرسَل إليها، وما وصلنا هو نسخة أُرسلَت إلى كنيسة أفسس.

٣- يرى مرقيون، وهو كاتب غنوصي من القرن الثاني، أنّ هذه الرسالة هي تلك التي ذكرها بولس في كول ٤:١٦.

أفسس من هيكل أرطاميس إلى بازيليك القديس يوحنا

الخوري بولس الفغالي

كلّ سنة في اليوم السادس من شهر ترغيليون (نهاية أيّار) يقع العيد الرئيسيّ لأرطاميس، في أفسس. يمسح الكهنةُ التمثالَ بالزيت المقدّس، ويزيّنونه. وعند بداية الليل، يتحرّك الموكب، يتقدّمه حاملو الصور المقدّسة التي يضيئها نورُ المشاعل، ويرافقه حرّاس الهيكل والعاملون فيه. ثمّ يسير المغنّون والكهنة. في ذلك الوقت، يظهر تمثال أرطاميس، صورةُ الإلهة القديمة والمعبودة، التي نحتت في جذع الكرمة.

١ - عبادة أرطاميس في أفسس

بما أنّ أرطاميس هي شفيعة الأرض كلّها، جاء جمهور كبير، من كلّ مكان، لكي يتعبّد لها. فيسير الموكب عبر الريف، في الطريق المقدّسة، من الهيكل إلى باب مغنيزية الذي فيه يدخل الناسُ إلى المدينة. ويلتقي التطواف بشبّان يقومون بالخدمة العسكريّة، كما الحاكم والقضاة. وحين تمتلئ الساحة العامّة (أغورا)، ينطلق الناس في الشوارع الرئيسيّة على صوت الأبواق والأناشيد، حتّى المسرح الذي هو في قلب المدينة.

ويجتمعون كلّهم. ويُوضَع تمثال أرطاميس على عرش رفيع لكي يكرّمه شعبُها. وينبري الخطباء المكرّسون الذين ألّفوا النشائد، فيروون خبرها: كيف حُبل بها حين أحبّ زوش، رئيس الآلهة، ليتو، ابنة التيتان أو الجبابرة. ثمّ وُلدت في غابة أورتيغية التي تشرف على أفسس، ولادة عجائبيّة: تمّ ذلك حين نجّت الريحُ تيتو من التنّين السماويّ الذي كان يلاحقها بسبب حسد هيرا، زوجة زوش الثالثة. ويهتف العابدون: عظيمة أرطاميس الأفسسيّين. فقد حمت دومًا المدينةَ والأرضَ التي تحيط بها، ومنحت الخصب للأرض والوفر للبلاد.

وحين ينتهي العيد، يتكوّن الموكب من جديد، فيرافق العابدون الإلهة، بالاحتفال عينه. فيخرجون في باب كوراسوس الذي يقابل اليوم بولبول داغ. وحين يعودون إلى الهيكل، يعيدون التمثال إلى قاعدته. عند ذاك، يقدّم الكهنة عددًا من الذبائح، ولا سيّما المعز، ذاك الحيوان المكرّس لأرطاميس، وينتهي النهار بوليمة يشارك فيها الرجال والنساء والأولاد، فيجلسون على العشب ويتقاسمون اللحم المشويّ الذي تركه الكهنة لهم.

وقبل شهرين، أي في شهر أرطاميسيون (آذار - نيسان)، كان أهل أفسس قد احتفلوا بالألعاب الرياضيّة إكرامًا للإلهة، في ملعب يتّسع لأربعة وعشرين ألفًا من الناس. أمّا الاحتفالات الأدبيّة والشعريّة والموسيقيّة فتتمّ في المسرح. كان كلّ هذا يمتدّ أيّامًا عديدة حتّى توزيع الجوائز وإعلان الرابحين. وفي مناسبة أُخرى، يحمل الكهنة تمثال الإلهة إلى شاطئ البحر ويغسلونه في الماء طلبًا لحمايتها من أجل البحّارة والتجارة البحريّة. وهكذا ترتّبت الحياة في أفسس، موزّعة على أعياد للإلهة أرطاميس. فأسماؤها عديدة: السيّدة، الملكة، العذراء، العظيمة، الكبيرة، قائدة الأيونيّين وحاميتُهم، إلهة المدينة. وأفسس هي موطن أرطاميس، ومغذّيتها وحارسة هيكلها. والأولاد يُدعَون حين يولدون باسم "أرطاميدور" أي عطيّة أرطاميس.

كيف يبدو تمثال أرطاميس؟ هي واقفة. تمسك بيديها غزالَين فتدلّ على سلطانها على حيوان الغابات. تلبس

ثوبًا مطرّزًا بصور حيوانات هي ملكتها. ثلاثة صفوف من البَيْض، رمز الخصب، تزيّن صدرها. وعلى حزامها نُقشت صور البروج: فهي سيّدة الكون، وعلى رأسها تاج رفيع مع صور الهياكل التي تُعبد فيها الإلهة. وجهُها وعيناها تعبّر عن هدوء الطبيعة وصفائها، مع الغنى الذي لا يُحدّ. هذه الصورة التي هي موضوع حبّ وعبادة لجميع سكّان آسيا الصغرى، يصنعون منها ملايين النسخات التي يأخذها الحجّاج الآتون إلى أفسس.

في القرون الثلاثة الأولى للمسيحيّة، عرفت عبادة أرطاميس في أفسس أكبر ازدهارها. ولكن حين اجتاحها القوط سنة ٢٦٣ ق.م.، دُمِّر الهيكل واختفت آثار عبادتها. ونحن حين نتطلّع إلى عمق الرباط الروحيّ الذي ربط أرطاميس بأفسس، نفهم لماذا أحسّت الديانة الوثنيّة، سنة ٤٥–٧٥ب.م.، أنّها مهدّدة، بسبب كرازة بولس الرسول في أفسس.

٢ – بولس وهيكل أرطاميس في أفسس

حين كان بولس في أفسس، لعلع صوته فأعلن: "الآلهة التي تصنعها الأيدي، ما هي آلهة" (أع ١٩: ٢٦). عندئذٍ ثارت ثائرة الصاغة في أفسس. هم يصنعون تماثيل الإلهة، ومصغّرات لهيكلها. يبيعونها ويغتنون بثمنها. "في ذلك الوقت" حدثت فتنة صاخبة. وراح زعيم الصاغة يخطب في أصحاب صنعته: "تعرفون، أيُّها الاخوان، أن رَخاءَنا يقوم على هذه الصناعة... هذا خطر يؤدّي إلى الاستهانة بصناعتنا، لا بل يعرّض هيكل الإلهة العظيمة أرطاميس للازدراء، ويهدّد عظمتها بالانهيار، وهي التي يعبدها جميع الناس في آسيا وفي العالَم كلّه" (أع ١٩: ٢٥–٢٧)؛ فما الذي حدث؟

بعد أن انفصل بولس عن برنابا، بدأ رسالته الشخصيّة، فركّز عمله في العواصم الكُبرى وملتقى الطرق مثل فيليبّي وتسالونيكي وأثينا وكورنتوس. كما أراد أن يعلن الإنجيل حيث لَم يُعلَن بعدُ اسم المسيح. وكانت أفسس في هذا الخطّ، بسبب أهمّيّتها، فصلحت أن تكون مركزًا عظيمًا من أجل الرسالة. فقد كانوا يقولون "أفسس" ليدلّوا على آسيا. ولكن يبدو أنّ بولس لَم يكن أوّل من حمل الإنجيل إلى أفسس. فقد سبقه أبلّوس ومجموعة "اخوة" كانوا على علاقات طيّبة مع جماعة كورنتوس (أع ١٨: ٢٤–٢٨). ولكن ما هو نوع العلاقة بين هؤلاء "الإخوة" والتلاميذ الاثني عشر الذين التقى بهم بولس عند وصوله، وما كانوا يعرفون الروح القدس (أع ١٩: ١–٦)؟ لا جواب على ذلك. ولكن ما هو أكيد على مستوى التاريخ، هو أنّ أبلّوس "تلقّف مذهب الربّ، فاندفع يتكلّم بحماسة، ويعلّم تعليمًا صحيحًا ما يخصّ يسوع" (أع ١٨: ٢٥).

مرّ بولس في أفسس مرورًا عابرًا، وترك معاونَيه أكيلا وبرسكلة، اللذَين بَدَآ العمل حالاً. ولكنّه سيعود إلى أفسس بعد زيارةٍ إلى أورشليم وأنطاكيا، فيقوم هناك بالرسالة بين سنتين وثلاث سنوات. في خلال هذه الفترة، انتشر الإنجيل في كلّ آسيا، وتشدّدت الجماعات التي كلّف بولس بها. وفي السنوات ٥٥–٥٨، كتب بولس الرسالة الأولى إلى كورنتوس، والرسالة إلى فيليبّي... وامتدّت الرسالة مع تلاميذ بولس، أبفراس، فيلمون، أرخبّس، في وادي ليكوس، في كولوسي ولاودكيا وميرابوليس. بل إنّ بولس نفسه وصل إلى ترواس ليعلن الإنجيل هناك (٢ كور ٢: ١٢).

في أفسس، تلقّى بولس أخبارًا حول انحرافات الغلاطيّين. فكتب يشدّد على الحرّيّة المسيحيّة وعلى الخلاص بالمسيح وحده. ومن سجن أفسس كتب إلى أهل فيليبّي يدعوهم إلى الفرح ويفتح لهم قلبه حول علاقةٍ حميمةٍ تربطه بالمسيح وبالمؤمنين. ومن أفسس انطلقت وثيقة تعرّفنا إلى جماعة مسيحيّة جاءت من العالَم الوثني، وفهمنا خطر العلاقات مع الزناة: "كتبتُ إليكم في رسالتي أن لا تخالطوا الزناة" (١ كور ٥: ٩). هو نشاط واسع قام به بولس في أفسس، ويشهد له ما قيل في ١ كور ١٦: ٨: "وسأبقى هنا في

أفسس إلى عيد العنصرة، لأنّ اللّه فتح لخدمتي فيها بابًا واسعًا فعّالاً، مع أن الخصوم كثيرون". وهذا ما يُفسّر الاضطهادات التي لاقاها الفريق الرسوليّ. ففي ١ كور ١٥: ٣٢، يتحدّث بولس عن سَجْنٍ لقيه، وعن تهديدٍ بأن يُرمى إلى الوحوش فقال: "فإذا كنتُ صارعتُ الوحوش، لِغَرَضٍ بشريّ، فما الفائدة لي"؟ وأخبر في ٢ كور ١: ٨-٩ ما حصل له: "لا نريد أيُّها الإخوة أن تجهلوا الشدائد التي نزلت بنا في آسيا (عاصمتها أفسس)، فكانت ثقيلة جدًّا وفوق قدرتنا على الاحتمال حتى يئسنا من الحياة، بل شعرنا أنّه محكوم علينا بالموت". سجنان قَاسَاهُما بولسُ في أفسس، بالإضافة إلى تلك الفتنة التي كادت تودي بحياته، فافتداه غايوس وأرستخس (أع ١٩: ٢٩).

٣- بقايا أفسس بعد الحفريّات

في رأس سنة ١٨٧٠، وبعد سبعة أعوام من البحث، توصّل الانكليزيّ جون دود إلى اكتشاف موقع هيكل أرطاميس. هذا الهيكل الذي حُسب إحدى عجائب العالَم السبع، كان مخفيًّا تحت ثمانية أمتار من الطمى، وغارقًا في طبقات مائيّة جوفيّة. أوّل ما كُشِفَ، بقايا هيكل يعود إلى القرن الرابع ق.م.، وقد شُيِّدَ فوق خرائب لهيكلٍ يعود إلى نهاية القرن السادس ق.م.، هذا الهيكل الأخير بناه ملك ليديا، كريوس، وأحرقه إرواستراتيس سنة ٣٥٦ ق.م. وتواصلت الحفريّات فكشفت معبدًا يعود إلى القرن الثامن، مع مذبح قديم جدًّا.

هذا الهيكل الأخير بأعمدته الأربعة ثمّ الثمانية، أحاط برواق غير مسقوف، مع قبّة مستطيلة الشكل، تسندها ستّة أعمدة وتظلّل أقدم تمثال للعبادة. هناك وُجدت عظام المعز والخراف والبقر والكلاب والجياد والحمير. كلّها كانت ذبائح مع حيوانات برّيّة. ووُجدت أضراس دبّ بشكل تعاويذ، لأنّ الدبّ كان حيوانًا مقدّسًا لأرطاميس. وتقدمات الحمير والنذور الفينيقيّة من الخزف أو العاج، دلّت على أنّ الفينيقيّين شاركوا في عبادة أرطاميس مع الطقوس الساميّة. وقد وُجدت أيضًا عظام بشريّة. فأورد هيبوناكس، شاعر ليديا، كتاب طقوس تمارس في أفسس: بمناسبة العيد السابق للحصاد، كان يُقاد رجل عبر المدينة كذبيحة تكفيريّة، فيُحرق ويُرجَم. شكّلت مثل هذه العادة مزيجًا من عبادة النبات وطقوس التكفير.

وبيّنت التنقيبات التي قامت بها النمسا، إلى كشف أساس بناء كبير ومستطيل، يمكن أن يعود إلى نهاية القرن السابع أو بداية القرن السادس. ويبدو أنّه سبق الهيكل المرمريّ البرّيّ الذي شيّده كريوس، يمكن أن يكون الهيكل الذي بناه الحاكم المستبدّ فيتاغوراس. أمّا هيكل كريوس فعرف ١٢٧ عمودًا، منها ٣٦ مع نقوش بارزة. زُيّن هيكلُ ملك ليديا بأغنى زينة، بيد فنّانين جاءوا من الشرق. وحين أُحرِقَ هذا الهيكل سنة ٣٥٦ ق.م.، استعمل البنّاؤون عناصر قديمة لبناءِ ما سيكون إحدى عجائب العالَم السبع.

ويُطرَح سؤالٌ: لماذا سيطرة أرطاميس؟ وما علاقة هذه العبادة بملوك ليديا؟ هنا نتذكّر أنّ عبادة الإلهات قديمة جدًّا في آسيا الصُغرى. فتصل إلى العصر الحجريّ. ففي الشرق القديم، اعتادوا أن يجعلوا إلهةً شابّة قرب إله النبات: عشتار وبعل. فيبالليس وانيس، أو أفروديت وأدونيس. وهكذا سيطرت أرطاميس في أفسس، ولن تنزل عن عرشها إلاّ مع انتشار المسيحيّة. فالمعبد صار مقلع حجارة لبناء البازيليكات المسيحيّة: القدّيس يوحنّا في أفسس، وأغيا صوفيا في القسطنطينيّة. أجل، لا إلهة تُعبَد بعد في أفسس، بعد أن أعلن المجمع المسكونيّ الثالث، سنة ٤٣١، أنّ مريم هي أُمّ اللّه (تيوتوكوس أو يُلدَت ألوهو).

وهكذا لم تعد أفسس المدينة الوثنيّة، بل صارت المدينة المسيحيّة التي فيها عقد أكثر من مجمع كنسيّ. وتميّزت بثلاثة أبنية: كنيسة العذراء، موضع استشهاد يوحنّا، ومغارة النيام السبع.

كشفت لنا الحفريّات كنيسة العذراء، الطويلة جدًّا والتي انقسمت

في ثلاثة صحون، يفصلها صفّان من العواميد (٢٠ عمودًا). على الحائط الشرقيّ، شماليّ الباب الرئيسيّ، حَفَرَ هيباتيوس، أُسقف المدينة الذي عاش في أيّام الامبراطور يوستنيانس (٥٣٠-٥٣٨) مدوّنةً تقول: "كنيسة مقدّسة لأُمّ اللّه القدّيسة والمجيدة، مريم الدائمة بتوليّتها". إلى الغرب كانت ثلاثة أبواب، لأنّ الكنائس تتّجه نحو الشرق. فوق الباب الرئيسيّ كُتب الإهداء التالي: "رُفع إطار الباب في أيّام يوحنّا الأُسقف القدّيس". هو يوحنّا الثاني الذي صار أُسقفًا حوالي سنة ٤٥٧. أمّا الرواق فانتهى من جهة الغرب بجرْنِ عِمادٍ كبير يعود إلى القرن الخامس. وترتّبت أربعة ممرّات بشكل صليب. في الوسط كان حوض للاغتسال العماديّ يصلون إليه عبر سلّمَين، من الشرق والغرب. ولكنّ الموعوظين كانوا ينطلقون من الغرب، حيث الشيطان وقوّاته، إلى الشرق، حيث المسيح وملكوته، كما هو طقس العماد في أيّامنا.

٤- بازيليك القدّيس يوحنّا

تستند إقامة القدّيس يوحنّا في أفسس إلى مجمل من الشهادات القديمة والمتنوّعة في أصلها، بحيث لا نستطيع أن ننكر هذه الإقامة. فإنّ أوسابيوس، في التاريخ الكنسيّ، يجعل مجيء يوحنّا إلى أفسس، بعد المنفى في جزيرة بطموس، في أيّام الامبراطور نرفا، أي بين أيلول ٩٦ وكانون الثاني ٩٨. يقول في ٣: ٩: "حينئذٍ استطاع الرسول يوحنّا أن يترك الجزيرة التي أُبعد إليها، لكي يُقيم في أفسس. هذا ما يورده تقليد آبائنا". وإذا عدنا إلى ما قبل أوسابيوس، نقرأ شهادةً رئيسيّةً في الردّ على الهراطقة (٣/٣: ٤) لإيريناوس، أُسقف ليون في فرنسا: "غير أنّ كنيسة أفسس، التي أسّسها القدّيس بولس، وحيث أقام يوحنّا حتّى زمن تريانس، هي أيضًا شاهدة حقيقيّة على تقليد الرسول". والشاهد الثالث هو يوستينوس، ابن نابلس الذي عاش في القرن الثاني مقتربًا من الزمن الرسوليّ، قال في حواره مع تريفون (ف ٨١): "عندنا رجل اسمه يوحنّا، أحد رسل المسيح، تنبّأ في سفر الرؤيا".

ما أقام يوحنّا فقط في أفسس، بل هناك قبره. ويشهد على ذلك نصّ من بوليكراتيس، أُسقف أفسس، احتفظ به أوسابيوس: "ويوحنّا الرسول الذي نام على صدر المعلّم... هو شهيد ومعلّم وله قبره في أفسس" (التاريخ الكنسيّ ٣/٣١: ٣). وأشار أوسابيوس نفسه إلى "أنّه يوجد أيضًا في أفسس، قبران يحافظان على اسم يوحنّا" (٣/٣٩: ٦). التجأ هذا المؤرّخ هنا إلى شهادة بابياس الذي يتحدّث عن شخصَين دُعيا باسم يوحنّا، وإلى شهادة ديونيسيوس الإسكندرانيّ (منتصف القرن الثالث) الذي كتب أيضًا: "يُقال إنّه يوجد قبران في أفسس، وكلاهما باسم يوحنّا" (التاريخ الكنسيّ ٧/٢٥: ١٦). لا نريد هنا أن ندرس ما يتعلّق بيوحنّا الرسول وبيوحنّا الشيخ، بل نعرف أنّ قبر يوحنّا الحبيب كُرِّمَ في أفسس. فقد تحدّث البابا سيلاستينوس إلى آباء مجمع أفسس (٤٣١) عن ذخائر الإنجيليّ يوحنّا. كما أنّ هناك أساقفة حضروا إلى أفسس، فتذمّروا لأنّهم لَم يستطيعوا أن "يكرّموا قبورَ الشهداء القدّيسين المجيدين، ولا سيّما قبرَ المثلّث الطوبى يوحنّا اللاهوتيّ والإنجيليّ الذي عاش حياةً صحيحةً مع الرب». وتحدّث أوغسطينس في شرح يوحنّا (ف ١٢٤، الآباء اللاتين ٣٥: ١٩٧٠) عن معجزات كثيرة تتمّ على هذا القبر المشهور. أمّا افرام، أُسقف أنطاكيا، فأعلن أنّ المؤمنين ينعمون بعطر عجائبيّ يخرج من قبر يوحنّا. بل أَوضَحَ غريغوريوس، أُسقف تور في فرنسا أنّ هناك "نوعًا من المنّ الشبيه بالطحين، يأخذونه إلى البعيد فيجري المعجزات العديدة".

ويؤكّد علم الآثار ما قالته النصوص الأدبيّة. فعلى تلّة اياسولوك (أي آغيوس تيولوغوس، القدّيس اللاهوتيّ)، ترتفع البازيليك الكبيرة التي بناها الأمبراطور يوستِنيانُوس (٥٢٧-٥٦٦). فمنذ سنة ١٩٢٦، اكتُشِفَت هذه البازيليك التي بلغ طول صحنها الوسط مئة متر. وأمام النرتكس كان رواق مربَّع تحيط به سلسلة من العواميد مع عين في الوسط.

كان فوق البازيليك إحدى عشرة قبّة. وإذ حفر المنقّبون تحت المذبح، وجدوا بقايا لبناءٍ قديم يضمّ ضريحًا مربّعًا يعود إلى الحقبة القسطنطينيّة.

ففي القرنَين الثاني والثالث، جاء تقليد يجعل قبر يوحنّا على تلّة تقع شمالي المدينة. ولكن ننتظر زمن قسطنطين الأمبراطور (٣٠٦-٣٣٧) ليبدأ الإكرام الرسميّ لهذا الرسول. تألّف المبنى المقدّس من أربعة عواميد ضخمة تسند سطحًا هَرميًّا قبل أذرع البازيليك الأربع التي تتّجه إليه، فتعطي لقبر الشهيد يوحنّا شكل صليب. كان قبر الرسول عند ملتقى الأذرع، وقد وصفه أحد الزوّار فقال: "قبر القدّيس المذكور في شكل مربّع، وقد جُعل بقرب المذبح. فوقه حجر من المرمر. وفي وسط الحجر عشرة ثقوب صغيرة جدًّا. وكلّ سنة، في عيد القدّيس اسطفانوس، في ساعة صلاة المساء، يخرج من هذه الثقوب التسعة مُنُ رمليّة ترتفع مقدار قدم فوق الحجر ثمّ تجري مثل خيط مياه". على الجانب الشمالي من الذراع الغربيّ، ارتفع جرن عماد مع نواة مثمّنة الأضلاع... ونقرأ على عتبة الباب: "رُفعت أطُرُ الباب وشُيّدت الواجهة في أيّام يوحنّا الأُسقف القدّيس، يوم كان الشمّاس الحقير يوحنّا قيّمًا".

ويقول لنا بروكوبيوس، أُسقف غزّة في فلسطين، إنّ يوستنيانوس أعاد بناء هذه الكنيسة على مثال كنيسة الرسل الإثني عشر في القسطنطينيّة، بناءً على طلب الأُسقف هيباتيوس الذي كان على علاقة طيّبة مع القصر. بدأ العمل سنة ٥٣٥-٥٣٦، وتقدّم كثيرًا سنة ٥٤١. ففي تلك السنة رسم أحد المرسلين المونوفيسيين، سبعين كاهنًا. ضمّ البناءُ الجديد البناءَ القديم. طوله ١٣٠ مترًا، عرضه ٦٥ مترًا، ولا ننسَ القِبَب. وهكذا جاءت الكنيسة الجديدة أوسع وأجمل من كنيسة العذراء، بحيث نوى الأُسقف هيباتيوس أن ينقل إليها الكرسيّ الأُسقفيّ، بحيث توازي أفسس القسطنطينيّة. فإذا ارتبط كرسيّ القسطنطينيّة بالرسول إندراوس، يرتبط كرسيّ أفسس بالرسول يوحنّا. ولكنّ الأمبراطور يوستنيانوس حذّر الأُسقف وذكّره بأنّ كنيسة العذراء توازي في الكرامة كنيسة يوحنّا. ولكن في القرن السابع، سوف تصبح كنيسةُ يوحنّا كاتدرائيّةَ الأُسقف في أفسس.

خاتمة

ماذا بقي من كلّ هذه الأبنية التي شُيّدت في الحقبة الهلّنستيّة والرومانيّة، إكرامًا للإلهة أرطاميس أو إكرامًا للأمبراطور وروحه، وفي النهاية إكرامًا ليوحنّا والعذراء مريم؟ بعض الحجارة المبعثَرة والعواميد الواقفة التي تشهد على عظمة مدينة أفسس. ولكنّ الأثر الحيّ الذي لا تنال منه السنون هو تلك الرسائل التي كتبها بولس من أفسس إلى كورنتوس وفيلبّي وغلاطية، وتلك الرسالة التي وُجّهت إلى أفسس، كما إلى كنائس عديدة، فبيّنت لنا أنّ كنيسة المسيح ليست بناءً من حجر وحسب، بل هي جسد المسيح حيث يشكّل فيه المؤمنون حجارةً حيّةً لمجد اللّه.

المراجع

Le Monde de la Bible, n° 64 (mai - juin 1990).

P. ANTOINE, "Ephèse", *DBS*, II (Paris, 1934), col. 1088s.

Bible et Terre Sainte, n° 51, décembre 1962; n° 144, octobre 1972.

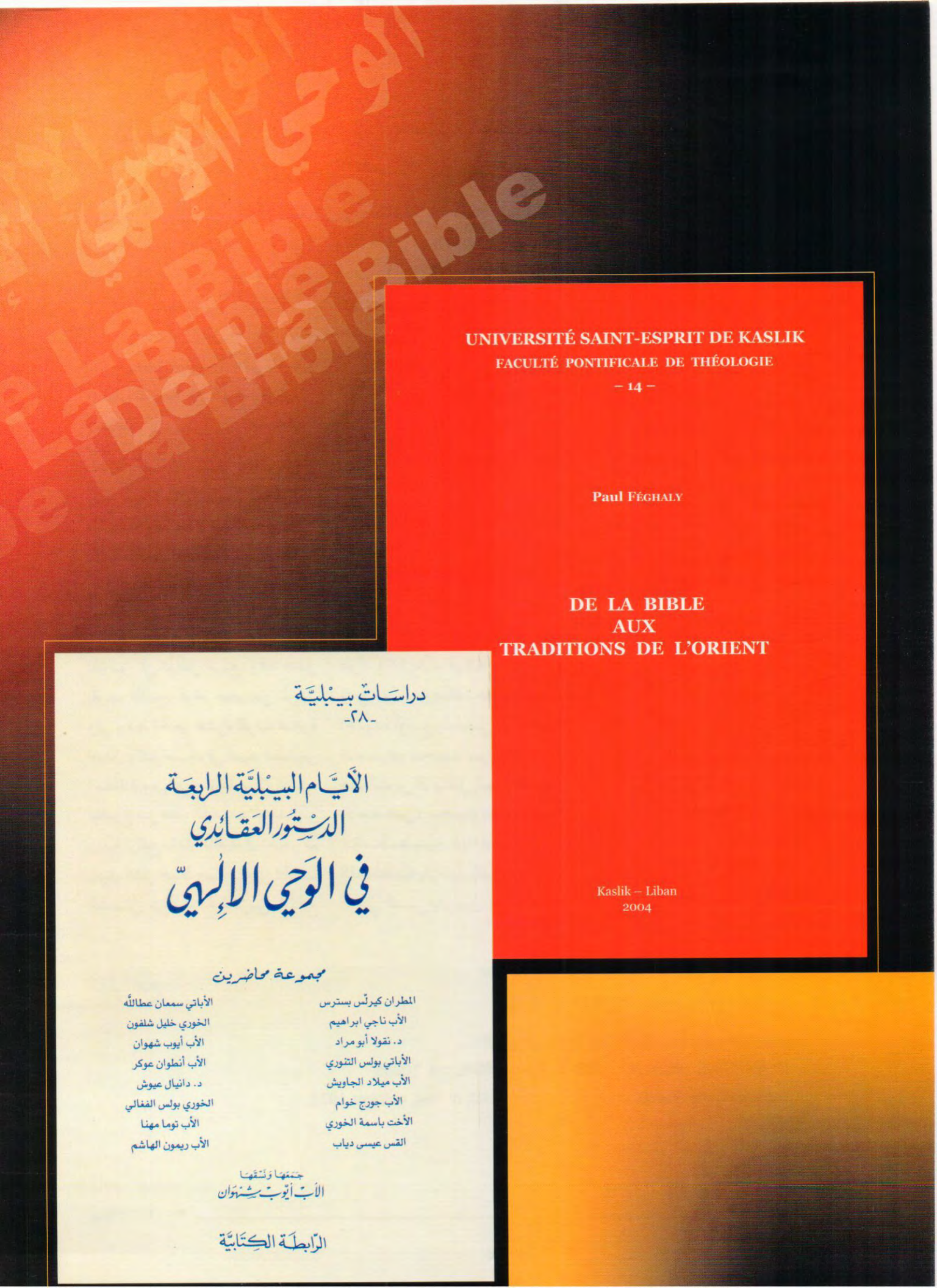
UNIVERSITÉ SAINT-ESPRIT DE KASLIK
FACULTÉ PONTIFICALE DE THÉOLOGIE
– 14 –
Paul FÉGHALY
DE LA BIBLE
AUX
TRADITIONS DE L'ORIENT
Kaslik – Liban
2004
دراسات بيبلية
-٢٨-
الأيام البيبلية الرابعة
الدستور العقائدي
في الوحي الإلهي
مجموعة محاضرين
المطران كيرلّس بسترس
الأب ناجي ابراهيم
د. نقولا أبو مراد
الأباتي بولس التنوري
الأب ميلاد الجاويش
الأب جورج خوام
الأخت باسمة الخوري
القس عيسى دياب
الأباتي سمعان عطاالله
الخوري خليل شلفون
الأب أيوب شهوان
الأب أنطوان عوكر
د. دانيال عيوش
الخوري بولس الفغالي
الأب توما مهنا
الأب ريمون الهاشم
جمعها ونسقها
الأب أيوب شهوان
الرابطة الكتابية

شكر مستمر (أف ١: ١٥-٢٣)

الخوري جوزف نفاع

مقدّمة

يشكّل نصُّنا هذا "فعل شكر" يؤدّيه بولس لله بعد البركة السابقة[١]. يقول شوبرت (Schubert) إن مقاطع "الشكر" التي نجدها في رسائل بولس[٢] متأثرة بالرسائل الهلينيّة، حيث نجد بكثافة "أفعال شكر للآلهة" أو "ذكر مستمر للقارئ أمام الآلهة" مما يدعو الكاتب للشكر[٣]. إلا أنها متأثرة بشكل واضح بليتورجيا الجماعة المسيحيّة الأولى[٤] وبالعبادات اليهوديّة ألمتمثّلة "ببركات الفرح". وهذه البركات كانت مشهورة جداً في جماعة قمران[٥]. من هنا نستنتج أن هذا الأسلوب الأدبي، "أفعال الشكر"، هي نقطة إلتقاء بين الحضارتين الهلينيّة واليهوديّة، سمحت بها ثقافة بولس المزدوجة[٦].

أ	١٥- لذلك، أنا أيضاً، إذ سمعت بإيمانكم في الرب يسوع وبمحبتكم لجميع القديسين، ١٦- لا أكف عن الشكر لأجلكم
ب	ذاكراً إياكم في صلواتي ١٧- حتى إله ربنا يسوع المسيح، أبو المجد، يهب لكم روح حكمة ورؤيا لمعرفته، ١٨- منيراً عيون قلبكم
١ب	لتعلموا ماهيّة رجاء دعوته وغنى مجد ميراثه بين القديسين ١٩- وكبر عظمة قوته من أجلنا نحن المؤمنين
١أ	حسب فعاليّة شدّة قدرته ٢٠- التي عملها في المسيح مقيماً إياه من بين الأموات ومجلساً عن يمينه في سماواته ٢١- أعلى بكثير من كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى به،
	ليس فقط في هذا الدهر بل أيضاً في الآتي. ٢٢- وكل شيء وضع تحت قدميه وجعله رأساً فوق كل كنيسة ٢٣- التي هي جسده، ملء الكل في كل الأمتلاء.

١- في أف ١: ٣-١٤.

٢- راجع مثلاً روم ١: ٨-١٥؛ ١كور ١: ٤-٩؛ قول ١: ٣-١٤؛ ١تس ١: ٢-١٠؛ ٢تس ١: ٣-١٢.

٣- راجع P. SCHUBERT, *Form and Function of the Pauline Thanksgivings* (Berlin: A. Töpelmann, 1939), 158-179

٤- راجع "The Historicality of Biblical Language", *The Old Testament and Christian Faith* (ed. B. W. Anderson, New York: Harper and Row, 1963) 124-158; "Die Hodajot-Formel in Gebet und Hymnus des Frühchristentums", *Apophoreta, FS E. Haenchen,* (ed. W. Eltester and F. H. Kettler, Berlin: Töpelmann, 1964) 194-235.

٥- راجع 1QH.

٦- راجع A. T. LINCOLN, *Ephesians* (WCB 42, Word Books Publisher, Dallas - Texas, 1990). "Thanksgiving with Prayer for Believers' Knowledge of God and Their Awareness of the Church's Significance (1:15-23), Form/Structure/Setting", CdR.

يسبك كاتب الرسالة هذا الشكر الليتورجي في "تشابك بلاغي" (chiasme) جميل مكوّن من أربعة عناصر (أ / ب / أ١ / ب١). وهذا دليل على مدى ترابط الأفكار بعضها مع بعض، وخاصةً على قوّة الأسباب التي تدعوه إلى الشكر الذي يرفعه في شأن مؤمنيّ كنيسة أفسس.

- **أ / أ١:** "أ" مؤلفة من ثلاثة عناصر: الإيمان، المحبة والشكر. كلٌ من هذه العناصر يجد له مقابلاً في "أ١":

أولاً، عنصر الشكر الذي نجده في السطر الثالث من "أ"، يقابل عمل قدرة الله في السطر الأول من "أ١". من الواضح أن هذه القدرة الإلهيّة التي غيّر واقع الحال في أفسس هي التي سبّبت الفرح لبولس وجعلته يشكر الله. إن صلاة الشكر هي الجواب الطبيعي الذي يؤديه المؤمن على عمل الله في حياته.

أما موضوع الإيمان الذي أثاره بولس في السطر الأول من "أ": "سمعت بإيمانكم في الرب يسوع"، يشرحه مفصلاً في "أ١". فهذا الإيمان يرتكز على عناصر أربعة تكوّنه وتسبّبه: إيمان المسيحيين يرتكز على قيامة يسوع، جلوسه عن يمين الآب[٧]، وضع كل شيء تحت قدميه وجعله رأساً للكنيسة[٨]. هذا ما ولّد إيمان الأفسسيين. وبالتالي، هذا ما جعل بولس يشكر الله. نلاحظ تكرار هذه العبارة الإعتراضيّة في "أ" و "أ١": "في الرب يسوع" εν τω χριστω Ιησου (في "أ")، تقابلها "في المسيح" εν τω χριστω (في "أ١"). إن هذا الإيمان هو "في الرب يسوع المسيح".

أما العنصر الثالث والأخير فهو موضوع "محبة القديسين" الموجود في السطر الثاني من "أ". يشرح بولس في السطر الأخير من "أ١" أن هؤلاء القديسين هم أعضاء الكنيسة التي هي "جسد المسيح" وهو رأسها الذي يبلّغها "الملء كله"، فتصبح عندئذ "قدّيسة".

- **ب / ب١:** على الرغم من أن بولس "سمع بإيمان الأفسسيين" و"شكر الله" عليه، إلا أنه لا يكتفي بهذا القدر، بل يطلب لهم المزيد منه، "ذاكراً إياهم في صلواته"، ليزيدهم الرب إيماناً على إيمان، ويزيده هو شكراً على شكر.

كلٌ من "ب" و "ب١" مكوّن من أربعة أسطر. السطر الأول يعرض الموضوع، والسطور الثلاثة اللاحقة تشرح الموضوع المطروح. موضوع "ب" هو الصلاة. موضوع "ب١" هو المعرفة. بولس "يصلّي" من أجل الأفسسيين حتى "يعرفوا" الله أكثر، لأن هذه المعرفة تولّد الإيمان، وهو سبب "شكر" بولس.

بولس يصليّ لأجلهم حتى ينالوا روح الحكمة، الرؤيا للمعرفة و نور عيون القلب (في "ب"). وهذه الهبات ستعرّفهم: رجاء دعوته[٩]، غنى مجده وعظمة قوّته (في "ب١").

إذاً، ألتشابك في نصّنا هو بين ما اكتسبه الأفسسيون من إيمان ومحبة، وهذا مدعاة شكر بولس (في "أ / أ١")، وبين ما يتمناه الرسول لهم من الاستزادة من المعرفة والإيمان (في "ب / ب١"). فالإيمان إذاً هو حالة بحث متواصل، وسعي دائم نحو الأفضل. ومن توقّف في مسعاه تراجع إلى الوراء. من هنا، يصلّي لأجلهم الرسول حتى يستمرّوا دائما على ما سمع عنهم من سعي للإتحاد بالمسيح، الذي هو رأس الكنيسة ومكمّلها.

٧- ألآية ٢١ تأتي كجملة اعتراضية، تشرح حالة المسيح الجالس عن يمين القدرة الإلهيّة: "أعلى بكثير من كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى به، ليس فقط في هذا الدهر بل أيضاً في الآتي". سأشرح لاحقاً معنى ودور هذه الآية في سياق النص.

٨- وكأننا هنا نقرأ "قانون إيمان" بدائي، يلخّص فيه الكاتب عناصر الإيمان الأساسيّة.

٩- أي دعوة الرب.

٢- الدراسة التحليليّة

آ ١٥- "لذلك" (δια τουτο) : هذه العبارة تُستعمل إجمالاً لوصل فكرتين أو مقطعين برباط السببيّة: "بما أنه كذا...، لذلك ...". فهي هنا تدعونا بوضوح إلى قراءة البركة السابقة في أف ١: ٣-١٤، واعتبارها سبباً مباشراً لما سنقرأه في نصنا. أو بشكل أدقّ، لا بدّ من ربط نصنا بالآيات التي تسبقه مباشرة (الآيات ١٣-١٤): "... أنتم أيضاً سمعتم كلمة الحق... وفيه آمنتم فخُتمتم بالروح الموعود، الروح القدس... للتسبيح بمجده". كل هذه المواضيع (السماع، الإيمان، الروح، التسبيح، المجد) سيستعيدها نصّنا ويزيدها شرحاً. فكما سمعوا هم بشارة الإنجيل، سمع بولس بإيمانهم فشكر الله.

"سمعت بإيمانكم": أثارت هذه العبارة كثيراً من الشكوك حول كاتب الرسالة ودوره في جماعة المؤمنين في أفسس، قيل: إذا قال بولس هذا الكلام، أنه سمع عن إيمانهم، فهذا يعني أنه لم يبشّر أهل هذه المدينة؛ وإلا لقال: علمت أو رأيت أو نقلت لكم الإيمان. والبعض ذهب إلى القول إن بولس ليس هو من كتب الرسالة، وإنما أحد تلاميذه كتبها؛ لذلك قال: سمعت (أي من بولس، مثلاً) عن إيمانكم. لسنا هنا في معرض دراسة نسبة هذه الرسالة إلى بولس الرسول ولا في معرض دراسة إطارها التاريخي أيضاً[١٠]. إنما تجدر الإشارة إلى أن هذا التعبير ليس فريداً في لغة الرسائل البولسيّة، بل نجده مستعملاً أيضاً في قول ١: ٤ و فيل ٤[١١]. من ناحية أخرى، نعلم أن بولس لطالما تابع أخبار الكنائس التي أنشأها[١٢]. وهكذا يكون أن سماعه بإيمان الأفسسين هو دليل على نموّ هذه الجماعة بالإيمان، إذ أن الإيمان هو مسيرة تصاعديّة أكثر منه حالة مستقرّة. على الأخصّ، إنه لم يسمع فقط بإيمانهم بل بمحبتهم لجميع القديسين، أي أنه سمع بمفاعيل هذا الإيمان في قلب جماعة المؤمنين.

"وبمحبتكم لجميع القديسين": ربط الإيمان بالمحبة أمر طبيعيّ في الفكر البولسي والمسيحي بشكل عام[١٣]. نذكر أولاً قول يعقوب في رسالته: "فكما أن الجسد بلا روح ميت، فكذلك الإيمان بلا أعمال ميت" (يع ٢: ٢٦). وأولى أعمال الإيمان هي المحبة. ويجمع بولس بين الإيمان والمحبة أيضاً في قول ١: ٤؛ ١تس ١: ٣؛ ٢تس ١: ٣.

يرى بعض الشرّاح في هذه العبارة، "جميع القديسين"، إشارة إلى المساعدات التي كانت تقدمها الكنائس لفقراء أورشليم، بمساعي من بولس نفسه. ويرى البعض الآخر فيها إشارة إلى ما أتى به الإيمان المسيحي من تذليل للفروقات الطبقيّة خاصةً بين من هم من أصل يهودي و من هم من أصل يوناني[١٤]. من الأفضل أن ندع لهذه العبارة مدلولها الأوسع، وهو ضرورة التضامن البشريّ بين جميع المؤمنين[١٥].

١٠- لمزيد من المعلومات حول هذه المسألة راجع ألفغالي بولس، **رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس**، محطات كتابيّة ٢، الرابطة الكتابيّة، لبنان، ١٩٩٦؛ A. T. LINCOLIN, *Ephesians* (WBC 42, Word Books Publisher, Dallas - Texas, 1990). "Thanksgiving with Prayer for Believers'. 49 Knowledge of God and Their Awareness of the Church's Significance (1:15-23)", *Comment, CdR.*

١١- تجدر الإشارة إلى أن الشكوك حول النسبة تطال أيضاً الرسالتين إلى أهل قولوسي وإلى فيليمون.

١٢- راجع مثلاً أع ٢٠: ٤؛ قول ٤: ٧.

١٣- لا بل أن خلاصة شريعة العهد القديم هي أن يحب الإنسان الرب إلهه من كل قلبه وأن يحب قريبه كنفسه. راجع أح ١٩: ١٨؛ تث ٦: ٤-٥؛ مت ١٩: ١٩؛ ٢٢: ٣٦-٣٩؛ مر ١٢: ٢٨-٣١؛ لو ١٠: ٢٦-٢٧؛ روم ١٣: ٩؛ غل ٥: ١٤؛ يع ٢: ٨.

١٤- راجع G.B. CAIRD, *Paul's Letters from Prison* (Oxford: Oxford University Press, 1976) 43.

١٥- راجع في هذا الخصوص أف ٣: ١٨؛ ٦: ١٨ و ٢٤.

١٦- "لا أكف عن الشكر لأجلكم": هذا الشكر ينبع من فرح الرسول بوصول الإيمان وازدهاره بالمحبّة. إذ يرى في نجاح رسالة المسيح نجاحاً شخصياً له، فيؤدي الشكر لله.

"ذاكراً إياكم في صلواتي": بالرغم من أن الكاتب سمع بإيمان ومحبة الأفسسيين وشكر الله على ذلك، إلا أنه لا يكف عن الصلاة من أجلهم ليزدادوا معرفةً فإيماناً فمحبةً. هذه إشارة واضحة إلى أن الإيمان والحياة المسيحيّة هي مسيرة متواصلة لن تبلغ كمالها إلا عند بلوغنا أورشليم السماويّة، حيث يصبح المسيح ملء جميع المؤمنين.

١٧- "حتى إله ربنا يسوع المسيح، أبو المجد": هذه العبارة هي لقب ليتورجيّ يفتتح به الكاتب صلاته. إنها تذكّرنا ببداية البركة السابقة في ١: ٣[١٦]. ويصف الكاتب الله بأنه "أبو المجد"[١٧]. هذا المجد هو إظهار لقوة الله. فالقوة والمجد هما مرادفان في الرسائل البولسيّة عندما يختصان بأعمال الله[١٨]. وهنا بالتحديد، هذه القوة تظهر بالنور الذي سيرسله للمؤمنين بواسطة "روح الحكمة ورؤيا المعرفة"[١٩].

"روح حكمة" (πνευμα σοφιας): هذا التعبير يرد مراراً في الترجمة السبعينيّة ومرادفه العبري هو "رُوَحْ حُكْمَة". وهو يدل على إتقان العمل المختصّ بالله: مثلاً في صناعة ثياب هارون الكهنوتيّة[٢٠]، أو صناعة المقدس[٢١]. لذلك، عندما سلّم الرب مهام موسى إلى يشوع، ملأه "روح حكمة"، فأطاعه بنو إسرائيل[٢٢]. وهبة روح الحكمة والفهم هي، بحسب أشعيا، من علامات الزمن المسيحاني[٢٣]. فهذا الروح هو الذي يفهمنا أعمال الله في ابنه يسوع وفي الكنيسة.

"ورؤيا المعرفة" (أي روح رؤيا) αποκαλυψεως: تعني كلمة αποκαλυψεως، المستعملة كاسم لسفر رؤيا يوحنا "الكشف" و "إظهار المستتر". من هنا ربطها الكاتب بتعبير "لمعرفته". في الرسائل البولسيّة، هذا الكشف يخص بشكل مباشر أسرار الله التي عملها مع ابنه يسوع[٢٤].

١٨- "منيراً عيون قلبكم": يصف الكاتب معرفةَ الإلهيات بأنها "نور"[٢٥]. هذا يذكّرنا بثنائيّة النور والظلام التي تتكلم عنها الرسالة إلى أهل قولوسي[٢٦]. والإنتقال من الظلمة

١٦- راجع أيضاً روم ١٥: ٦؛ ٢كور ١١: ٣١.

١٧- نجد تعبيراً مماثلاً على لسان الشهيد اسطفانس: "إله المجد" (أع ٧: ٢).

١٨- راجع روم ٦: ٤؛ ١كور ٦: ١٤.

١٩- راجع بهذا الخصوص ٢كور ٤: ٤-٦.

٢٠- راجع خر ٢٨: ٣.

٢١- راجع خر ٣١: ٣؛ ٣٥: ٣١.

٢٢- راجع تث ٣٤: ٩.

٢٣- راجع أش ١١: ٢. اعتبرت جماعة قمران نفسها البقية الباقية في إسرائيل، التي تملك روح الحكمة والفهم. راجع 1QS 4:3-5. أما في سفر أخنوخ الأول فنجد كلاماً عن الصراع القائم في قلب الإنسان بين روح الحكمة وروح الغشّ. راجع ١أخ ٤٩: ٣.

٢٤- راجع خاصةً أف ٣: ٣ و٥. راجع أيضاً ١كور ١٠:٢-١٣؛ ١٤: ٦ و ٢٦ و٣٠؛ أف ١: ٩؛ ٣: ١٠؛ ٦: ١٩.

٢٥- هذا الموضوع نجد ذكراً له في كتابات قمران. راجع 1QS 2:3; 11:3-6.

٢٦- راجع قول ١: ١٢-١٣. راجع أيضاً أف ٤: ١٨؛ ٥: ٨.

إلى النور، في هذه الرسالة، عوضاً عن أنه ثمرة توبة المؤمن، فهو يرتبط أيضاً بشكل وثيق بالمعموديّة. من هنا، ينير الله عيون قلوبنا ببشارة الإنجيل التي نتقبلها فعلاً إبان معموديتنا[٢٧]. وتشير الرسالة إلى أهل أفسس أيضاً إلى مدى ارتباط النور بالمعموديّة: "تنبّه أيها النائم وقم من بين الأموات يُضئ لك المسيح" (٥: ١٤)[٢٨].

"ماهيّة رجاء دعوته": لا يتطرق الكاتب هنا إلى رجاء من النوع السيكولوجي، بل هو الرجاء المسيحاني الذي أتى به المخلص في ملء الزمن وأتمه على الصليب[٢٩]. ألله يدعو جميع البشر للدخول في علاقة مباشرة معه، علاقة خلاصيّة[٣٠]. وهذه الدعوة هي مصدر رجاء عظيم، إذ بها نبلغ دخول الملكوت السماوي[٣١]، حيث أعدّ لنا المسيح مكاناً، بواسطة موته وقيامته[٣٢].

"وغنى مجد ميراثه بين القديسين": كلمة "ميراثه" تعود إلى ميراث الله، وليس إلى ميراث السماوات المعطى للقديسين. فمعنى الجملة إذاً هو أن القديسين، أي الكنيسة أو جماعة المؤمنين، هي ميراث الله أي خاصته وشعبه[٣٣]؛ وهذا الميراث هو غني ومجيد. إذاً يصلي الكاتب من أجل المؤمنين حتى يعرفوا جمال الحياة الأبدية، "رجاء الدعوة"، وجمال الحياة في الكنيسة، "ميراث الله".

١٩- "وكبر عظمة قوته من أجلنا نحن المؤمنين حسب فعالية شدّة قدرته": يصرّ الكاتب على أن يعرّفنا مدى قوّة الله، فيستنفد اللغة اليونانيّة، مستعملاً مرادفات أربعة للدلالة عليها: δυναμεως (قوّة)، κρατους (فعاليّة)، ενεργια (قدرة)، ισχυος (شدّة). هذه القوّة أقامت المسيح من بين الأموات، وبها بشّر بولس طوال رسالته[٣٤]، وهي الآن تهب النعمة لكل المؤمنين، لذلك يدعوهم الكاتب إلى طلبها والتنبّه لها.

٢٠- "التي عملها في المسيح مقيماً إياه من بين الأموات": هذه القوّة التي تكلمنا عنها، هي مُختبرة ومُثبتة سابقاً في المسيح نفسه الذي عمل دائماً بواسطتها ومن أجل إثباتها. وظهرت بشكل أخصّ في قيامته من بين الأموات. لذلك يصرّف فعل "أقام" في الماضي التام (aoriste) ενηργησεν ، دلالة على أن هذا الحدث هو تاريخيّ أكيد ولا جدل حوله. نلاحظ أن لاهوت العهد الجديد عامةً ينسب القيامة إلى عمل الآب في الابن، كما هي الحال هنا،

٢٧- راجع J. L. HOULDEN, *Paul's Letters from Prison* (Harmondsworth: Penguin, 1970) 79; H. SCHLIER, *Christus und die Kirche im Epheserbrie* (Tübingen: Mohr, 1930) 275.

٢٨- راجع الفغالي بولس، **رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس**، محطات كتابيّة ٢، الرابطة الكتابيّة، لبنان، ١٩٩٦، ٥١.

٢٩- راجع غل ٥: ٥؛ قول ١: ٥ و٢٧.

٣٠- راجع أف ٤: ١ و٤.

٣١- راجع ١تس ٢: ١٢؛ ٤: ٧.

٣٢- راجع H. SCHLIER, *Christus und die Kirche im Epheserbrief* (Tübingen: Mohr, 1930) 82-84

٣٣- نجد في العهد القديم إشارات عديدة إلى أن الشعب المختار، هو "ميراث الله". راجع تث ٤: ٢٠؛ ٩: ٢٦؛ ٢٩: ٢؛ ٢صم ٢١: ٣؛ ١مل ٨: ٥١ و٥٣؛ ٢مل ٢١: ١٤؛ مز ٢٨: ٩؛ ٣٣: ١٢؛ ٦٨: ٩؛ ٧٨: ٦٢ و٧١؛ ٩٤: ١٤؛ ١٠٦: ٥ و٤٠؛ أش ١٩: ٢٥؛ ٤٧: ٦؛ ٦٣: ١٧؛ إر ١٠: ١٦؛ ١٥: ١٩.

٣٤- راجع أف ٣: ٧.

٣٥- راجع A. T. LINCOLN, *Ephesians*, WBC 42, Word Books Publisher, Dallas - Texas, 1990. "Thanksgiving with Prayer for Believers' Knowledge of God and Their Awareness of the Church's Significance (1:15-23)", *Comment, CdR.*

أكثر منه إلى عمل الابن لنفسه[٣٥].

"ومجلساً عن يمينه في سماواته": نجد إجمالاً في الرسائل البولسيّة وجهتين لانتصار المسيح: ألقيامة من بين الأموات، والجلوس عن يمين الله في السماوات[٣٦]. هذه الأخيرة تجد لها ذكراً في مز ١١٠: ١: "قال الرب لسيدي: إجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك". هذا المزمور الملوكي[٣٧] يذكّرنا بعادات الشرق القديم التي تتوج الملك بأن تُجلسه عن يمين آلهة المملكة أو المدينة. هذا "الجلوس" يشير إلى مشاركة الملك الجديد في سلطان الآلهة ويشير أيضاً إلى أنه يحتلّ مركزاً رفيع الشرف عندها. في العهد القديم أيضاً نجد أن يمين الله ترمز إلى مركز الأفضليّة[٣٨] والقوّة[٣٩] والنصر[٤٠]. وفي الآية ٢٢ سيكمل الكاتب إستعارته لهذه الآية المزموريّة قائلاً: "وكل شيء وضع تحت قدميه"، مشيراً إلى سلطان المسيح القائم على كل المخلوقات. إذ يوسّع الكاتب إطار سلطة يسوع من "أعداءَك"، كما في المزمور، إلى "كل شيء" هنا[٤١].

آ ٢١ – "أعلى بكثير من كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة": يعدد صاحب الرسالة هنا كل القوات السماوية. هذه الكلمات الأربع تمثّل في الفكر اليهودي أربعة من مراتب الملائكة العشرة[٤٢] الموجودة في السماء السابعة، كلٌ منها حسب مرتبته[٤٣]. "وإذ أراد بولس أن يبرز هذا التسامي الفاعل والناشط، زاد أنه (أي: يسوع) تمجّد فوق كل القوى السماويّة التي يتكلّم عنها قرّاؤه في حلقات اجتماعهم. ولقد حاول بعضهم أن يجعل المسيح بين هذه القوى. أما الرسول فأكّد تسامي المسيح المطلق عليها"[٤٤].

"ليس فقط في هذا الدهر بل أيضاً في الآتي": إستعمال كلمتين مغايرتين سوياً يدل في أسلوب الكتاب المقدّس على الكليّة. مثلاً، عندما نقول: "الليل والنهار"، فهذا يعني: "دائماً"؛ أو إذا قلنا: "السماء والأرض"، هذا يعني: "الكون كله"، "الخليقة كلها"، إلخ. يستعمل الكاتب هنا: "هذا الدهر" / "الدهر الآتي"، أي: كل الدهور. إنه يشير إلى أزليّة المسيح وديمومة حكمه الذي لا انقضاء له، إن في هذا الدهر، أي في زمن الكنيسة الأرضيّة، أو في الدهر الآتي النهيوي، أي في أورشليم السماويّة.

"وجعله رأساً فوق كل الكنيسة التي هي جسده، ملء الكل في كل الأمتلاء": هذه

٣٦– يذكر بولس أحياناً ألقيامة منفردة (روم ١: ٤؛ ١كور ١٥: ٣؛ غل ١: ١؛ ١تس ١: ١٠) أو الصعود منفرداً (في ٢: ٩) أو يذكرهما معاً، كما هي الحال هنا (روم ٨: ٣٤؛ قول ٣: ١).

٣٧– ألكنيسة الأولى هي التي أعطت لهذا المزمور بعداً مسيحانياً.

٣٨– راجع مز ٨٠: ١٨؛ أر ٢٢: ٢٤.

٣٩– راجع خر ١٥: ٦؛ مز ٨٩: ١٣؛ أش ٤٨: ١٣.

٤٠– راجع مز ٢٠: ٦؛ ٤٤: ٣؛ ٤٨: ١٠؛ أش ٤١: ١٠.

٤١– راجع مز ٨: ٧.

٤٢– يكتفي الكاتب بذكر أربعة مراتب فقط دلالةً عليها كلها. وهذا أسلوب معروف جداً في الكتاب المقدّس. ولذلك يضيف الكاتب: "وكل اسم يسمى به"، دلالةً على أنه لم يذكر كل الأسماء، فيفتح المجال لذكر "كل أسم".

٤٣– هذه المعتقدات مذكورة خاصةً في أسفار العهد القديم المنحولة. نجد هذه الكلمات الأربعة في ٢أخ ٢٠–٢٢. راجع أيضاً ٢مك ٣: ٢٤؛ دا ١٠: ١٣؛ ١أخ ٦١: ١٠. راجع أيضاً روم ٨: ٣٨؛ ١كور ١٥: ٢٤؛ قول ١: ١٦؛ ٢: ١٠ و ١٥.

٤٤– ألفغالي بولس، **رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس**، محطات كتابيّة ٢، الرابطة الكتابيّة، لبنان، ١٩٩٦، ٥٥.

الجملة هي الأصعب ترجمةً في الرسالة كلها. إنها تحتوي على عدد من الصعوبات اللغويّة. من الطبيعي أن مقالاً كهذا لا يُفسح لنا المجال لخوض غمار النقاشات اللغوية حولها[٤٥]. فسأكتفي هنا بشرح معناها اللاهوتي فقط.

نجد ازدواجيّة بين المسيح الرأس والكنيسة الجسد. فما هو نوع هذه العلاقة بينهما. تجدر الإشارة أولاً إلى أن كلمة "الرأس" في الكتاب المقدّس لا تعني أبداً مركز الفكر والقرار، مستنتجين بذلك أن الكنيسة لا تملك سلطة القرار، بل أن "القلب" هو مركز الفكر والشعور والقرار، إن في العهد القديم وإن في كتابات عدد من المفكرين اليونان[٤٦]. من هنا نقول إن للرأس مركز التقدم على الجسد ودور القيادة[٤٧]. "إذا كان المسيح رأس الكنيسة ورأس القوى، فهو ليس كذلك بالصفة نفسها والطريقة عينها. إن سموّه على القوى يختلف عن سموّه على الكنيسة. فالقوى خاضعة مستعبدة. وقد جُعلت تحت قدمي المسيح خلال انتصاره. أما الكنيسة فهي واحدة معه، وإن خضعت له، وهو يمارس عليها سلطة التقديس والحب لا سلطة القسر والإكراه"[٤٨].

من ثمّ، هذه الازدواجيّة لا تعني أبداً أي نوع من الانفصال. فلم يقل صاحب الرسالة إن المسيح هو رأس والكنيسة جسد؛ وقد يشير بذلك إلى الاختلاف بينهما، بمعنى أن ما هو المسيح ليست هي الكنيسة، بل قال إن المسيح هو رأس الكنيسة وهي جسده، أي أن الكنيسة تملك هذا الرأس لأنه رأسها. والمسيح هو أيضاً موجود في الكنيسة لأنها جسده؛ ولا يكتمل الكيان بدون الرأس والجسد. فالارتباط بين المسيح والكنيسة هو ارتباط عضويّ، كارتباط الرأس والجسد الواحد بالآخر.

لذلك، يختم الكاتب جملته بأن يشير إلى أن امتلاء كل منهما، المسيح والكنيسة، هو بالآخر[٤٩]. المسيح هو ملء الكنيسة إذ هو مؤسسها بدمه، رأسها ومخلصها. والكنيسة هي ملء المسيح ببعدها الرسوليّ، إذ تحمل رسالته إلى كل العالم، إلى أن يصبح هو رأس الكون بأسره[٥٠].

خلاصة

– نحن مدعوّون أولاً، على مثال صاحب الرسالة، لأن نفرح بكل مؤمن جديد ينضم إلى جماعة القديسين. فكل أخ في الإيمان هو قوّة جديدة للكنيسة، وهو تحقيق لمشروع الله الخلاصي، إذ أرسلنا المسيح لنبشّر كل الأمم. ولا يرتاح قلب المسيحيّ الحقيقي ما دام هناك إنسان واحد لم يتعرّف بعد إلى المخلّص. نحن مدعوّون، على مثال الرسول، لأن يصبح مشروع المسيح الخلاصي مشروعنا الشخصيّ، ونجاحه نجاحنا. هذا هو المعنى العميق لصلاتنا: "ليأتِ ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في

٤٥– بشأن الدراسات اللغوية لهذه الجملة، راجع: A. T. LINCOLN, *Ephesians* (WCB 42, Word Books Publisher, Dallas - Texas, 1990) "Thanksgiving with Prayer for Believers' Knowledge of God and Their Awareness of the Church's Significance (1:15-23)", *Comment, CdR.*

٤٦– مثل أرسطو والرواقيين.

٤٧– راجع تث ٢٨: ١٣؛ قض ١٠: ١٨؛ ١١: ١١؛ ٢صم ٢٢: ٤٤؛ أش ٧: ٨–٩.

٤٨– الفغالي بولس، **رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس** (محطات كتابيّة ٢، ألرابطة الكتابيّة، لبنان، ١٩٩٦) ٥٦.

٤٩– من المحتمل أن الكاتب اعتمد استعمال كلمتين متكاملتين: "رأس" و"جسد"، دلالة على التكامل بين المسيح والكنيسة، تماماً كما أشرنا إلى التكامل السابق بين "هذا الدهر / الدهر الآتي" في الآية ٢١.

٥٠– راجع R. P. MEYER, *Kirche und Mission im Epheserbrief* (Stuttgart: Katholisches Bibelwerk, 1977) 28-29. 45-48; E. SCHWEIZER, *Neotestamentica* (Zürich: Zwingli Verlag, 1963) 314-316. 327-329.

السماء كذلك على الأرض". فانضمام الجميع إلى قطيع يسوع هو "الملكوت" وهو تماماً مشيئة الله.

– الإيمان مسيرة متواصلة، ومسعىً مستمر حتى بلوغ الملكوت. فبعد أن شكر الكاتب الله على إيمان الجماعة، صلّى على نيّة أن يزدادوا معرفةً بالإلهيات، وإيماناً بمن خلّصهم. لذلك، يخطئ كل من يقول: أنا آمنت. بل علينا أن نَعِيَ أننا دوماً في حالة بحث واكتشاف لوجه الله. نحن في حالة بناء لكياننا المسيحي الذي لن يبلغ ملء قامته، التي هي على قياس قامة المسيح، إلا في الملكوت الآتي. ومن يتوقّف عن هذا السعي، مكتفيا بما قد حقّقه من اكتشاف سابق لإيمانه، يفقد شيئاً فشيئاً ما هو بين يديه.

– الإتصال بالمسيح الرأس هو مصدر الإيمان والخلاص. فهو مركز عمل قدرة الله. وهو إثبات لنا على هذه القدرة الفاعلة التي سبقت فأقامته من بين الأموات. وبجلوسه عن يمين الله، يسيطر المسيح على الكون بأسره: ينتصر على أعدائه، وهم أعداؤنا نحن أيضاً، واضعاً إياهم تحت قدميه. ويصبح بذلك رأس الكنيسة ومخلصها، وهي جسده السريّ. فنبلغ بذلك الملء كله.

– المعرفة ضرورية للإيمان. فلا وجود لإيمان أعمى أو بالأحرى إيمان جاهل. نلاحظ أن الكاتب في صلاته يطلب المعرفة للمؤمنين، مستعملاً عدداً لا يستهان به من التعابير: "روح حكمة ورؤيا لمعرفته، منيراً عيون قلبكم لتعلموا". هذه دعوة صريحة لنا أن نستزيد كل يوم من دراسة كلمة الله ومن التعمق في تعاليم الكنيسة. هذه الدراسة هي معينٌ للتعرّف إلى الرب وفهم إرادته على كل واحد منّا.

– الإيمان هو مصدر الرجاء الحقيقي، خلافاً لكل ما يمكن أن توهمنا به كل قوّات وسلاطين هذا العالم. فغاية كل مسيحي هي ان يتّحد بالمسيح الرأس، وأن يكون عضواً في جسده السريّ، ليبلغ معه ملء كيانه كإنسان مخلّص مدعوّ لبلوغ الملكوت السماوي.

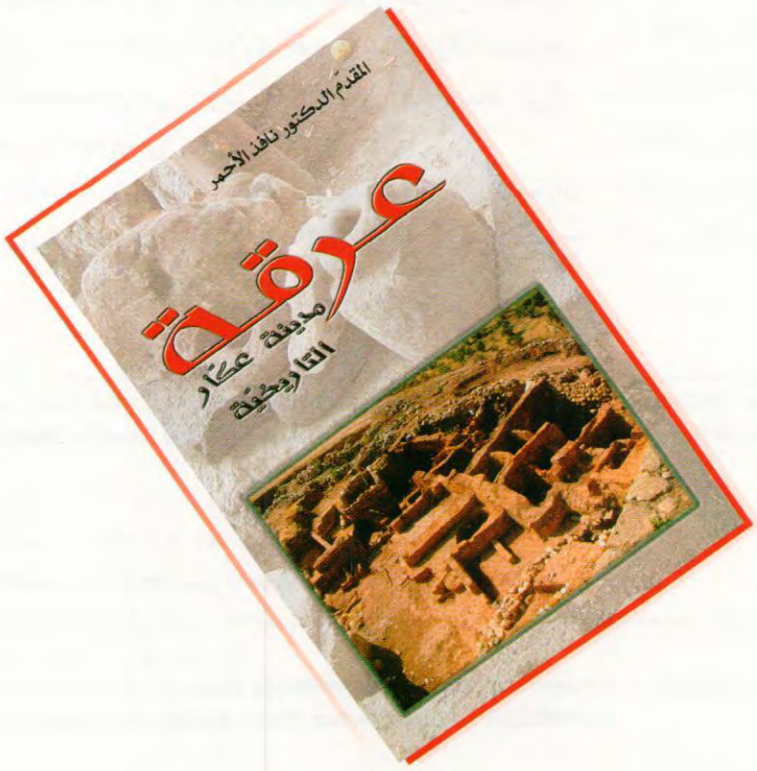

القيامة والمجد منذ الآن (أفسس ٢: ١-١٠)

الخوري جان عزام
الإكليريكية البطريركية المارونيّة – غزير

مقدمة

هذا النص من رسالة بولس إلى أهل أفسس، التي هي واحدة من رسائل الأسر، يعلن ما سبق وأكّده بولس مراراً في الرسالة إلى أهل روما عن أنّ الإيمان المسيحي يرتكز على الإعلان المفرح بأن الله قد خلّص الجميع، أمماً ويهوداً، بيسوع المسيح القائم من الموت، دون أيّ استحقاق من أحد، بل بحب مجاني خالص منه. والنص هنا ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

أ- واقع الخطيئة والموت لدى الأمم واليهود (آ ١-٣).

ب- الخلاص المجاني بيسوع المسيح (آ ٤-٧).

ج- الخلاص بالإيمان لأجل الأعمال الصالحة (آ ٨-١٠).

ولا نريد أن نتوقف كثيراً عند كل هذه الأقسام، ولا نرغب في أن نشرح هنا كلّ الآيات. فالموضوع سهل وواضح، وما يريد بولس أن يقوله ببساطة هو أنّ واقع الموت الذي ينتج عن الخطيئة لا يفرّق بين من يخطئون عن عدم معرفة الله الحقيقي أو الذين يخطئون بالرغم من معرفتهم له. فالخطيئة هي الخطيئة وتقود إلى الموت. وإن كان الله قد تدخّل بابنه يسوع فلأجل إحياء كل الذين ماتوا بسبب خطاياهم، وقد فعل ذلك برحمته اللامتناهية ونعمته المجانية التي تجسّدت في شخص ابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح. أمّا ما نريد أن نتوقّف عنده فهما موضوعان أساسيان، وذلك بالارتكاز على الآيتين ٦ و٨ من النص.

أ- "ومعه أقامنا من الموت وأجلسنا في السماوات في المسيح يسوع" (آ ٦).

إنّ فكرة الموت مع المسيح والقيامة معه موجودة عند بولس منذ الرسالة إلى أهل روما (٦: ٣-١١ و٨: ١١ و١٧). وكان بولس قد أكّد في معرض كلامه عن مفاعيل المعمودية (٦: ٣-١١) بأنّ المؤمن الذي يعتمد بالمسيح إنّما بموته يعتمد لكي ينال الحياة بقيامته. والمقصود في هذا النص هو أنّ الذي يعتمد لا يستطيع أن يختبر الحياة الجديدة، حياة أبناء الله بالمسيح الابن، إلاّ إذا قبل أن يدفن إنسانه العتيق مع موت يسوع المسيح، كما يعبّر عن ذلك النزول في ماء حوض المعمودية: لأنها لا حياة جديدة إلاّ بموت العتيقة. فالمعمودية إذاً ترمز وتحقّق سرّ موت المسيح وقيامته بطريقة أسراريّة بحيث أنّ من يموت في المسيح عن إنسان الجسد والخطيئة يؤمن بأنه سيحيا معه بالقيامة، وذلك من خلال مسيرة تبدأ بميلاد الإنسان الجديد في المعمودية، وتصبح نهائيّة بقيامته على شبه قيامة المسيح، وتتوج بنواله الجسد الروحاني والجلوس في السماء عند مجيء المسيح الأخير. الواضح في نص روما، من خلال استعمال الأفعال في صيغة المستقبل، هو أنّ قيامة المؤمنين تبدأ في المعمودية، ولكنها تتحقّق بكمالها في المستقبل من خلال مسيرة تمرّ عبر الموت الجسدي وانتظار قيامة الأجساد (رج ١كو ١٥). هذا هو المعنى الأساسي أيضاً لنص روم ٨: ١١ و١٧ حيث يؤكّد بولس على أنّ روح الله سيحيي أجساد المؤمنين المائتة (على مثال قيامة المسيح من بين الأموات، آ ٨)، كما سيعطيهم أن يشاركوا في مجد المسيح (السماوي) بعد أن شاركوا في آلامه (آ ١٧). هنا أيضاً الأفعال باليونانيّة موجودة في صيغة المستقبل.

أمّا اللافت في نصّنا[١] فهو إعلان بولس لهذه الحقيقة، أعني قيامة المؤمنين من الموت وتمجيدهم المعبّر عنه بفكرة الجلوس في السماء، من خلال أفعال في صيغة الماضي، أي كأمر قد تحقّق بالكامل وليس فقط في طريقه نحو التحقيق من خلال مسيرة تمتدّ إلى الموت الجسدي وما بعده.

لقد تطوّر فكر بولس مع الوقت من خلال اختباره الشخصي والكنسي[٢]. لقد اختبر بولس بأن الكنيسة هي حقاً جسد المسيح السرّي، وهذا ما سبق وعبّر عنه في الرسالة إلى أهل روما وإلى أهل كورنتس (رج روم ١٢ و ١كو ١٢)، وسبق وأكّد بأن مسيرة الكنيسة هي في أن تبلغ ملء قامة المسيح الممجّد في السماء. وهذان التأكيدان يسمحان بفهم ما يعلنه بولس هنا: فمن جهة أولى، الكنيسة هي جسد المسيح السرّي؛ أي أنها حاضرة مع المسيح الممجّد في جسده في السماء؛ ومن جهة أخرى، هي نفسها تحتاج إلى أن تحافظ على رباطها بالمسيح ونموّها في قامته حتى يتحقّق فيها، على مستوى كلّ عضو من أعضائها، ما سبق وتحقّق بالكامل على مستوى الجسد كلّه. إذاً، حاجة المؤمن الفرد لكي يولد في المعمودية، وينمو في الإنسان الجديد، وينال القيامة التامة لدى موته الجسديّ، ويصل إلى ارتداء جسده الشخصي كجسد ممجّد عند مجيء المسيح الأخير، هي حاجة ترتبط بحرية كلّ فرد، عضو في جسد المسيح، بأن يبقى مرتبطاً بهذا الجسد، وبأن يصل إلى ملء قامته، أو بأن ينتزع نفسه منه بالانفصال عنه. أمّا الجسد ككلّ، أعني الكنيسة كحقيقة تحقّقت في المسيح وفي الذين آمنوا به وماتوا بموته واختبروا قيامته، فهي ثابتة ومحقّقة منذ اللحظة التي قام فيها المسيح من الموت وأقام معه كلّ الذين آمنوا، منذ آدم وعبر كل التاريخ الخلاصي. فجسد المسيح البشري قد قام وتمجّد وصار في السماء، وكذلك جسده السرّي، الذي هو الكنيسة، قد صار حاضراً في السماء يشارك في هذا المجد. وعندما يؤكّد بولس في الآية ٦ من نصّنا على الـ "نحن"، فإنّما يفعل ذلك من خلال الإيمان الثابت بأن الذين قد اختبروا الولادة الجديدة من موت خطيئتهم ويعيشون بحسب إيمانهم، يرتبطون بالمسيح الممجّد وبكنيسته الممجّدة أيضاً بطريقة أسراريّة، لدرجة أنّهم يستطيعون أن يعتبروا أنفسهم بأنهم سبق وبدأوا يشاركون في القيامة والمجد السماوي "في المسيح يسوع". فالإيمان هو الضمان على أنّ القيامة قد تمّت، والمجد قد بدأ، وحياة الإيمان هي الضمان على تتميم هذا في كلّ مؤمن.

هنا، ننتقل إلى معالجة الموضوع الثاني المهم في النص، أعني موضوع الإيمان الذي يجب فهمه جيّداً، لفهم المعنى العميق لما أكّده بولس في الآية ٦.

ب- "أنتم بالنعمة مخلّصون بواسطة الإيمان" (آ ٨).

هذا الموضوع أيضاً، قد سبق أن عالجه بولس في رسالته إلى أهل روما وأيضاً في رسالته إلى أهل غلاطية، وليس ما يقوله هنا بالجديد المطلق. ما يهمنا هنا هو أن نفهم أهميّة الإيمان في جعل ما يجب ان يكون حقيقة مستقبلية (القيامة من الموت والجلوس في السماء في المجد) حقيقة حاضرة وآنية، ليس فقط من خلال الإنتماء السّري إلى جسد المسيح، أي الكنيسة، بل أيضاً على المستوى الفردي لكلّ مؤمن.

إنّ المفهوم الحقيقي للإيمان ليس في تصديق حقائق معيّنة وانتظار تحقيقها

١- رج أيضا كول ٢: ١٢و ١كو : ١-٤.

٢- وقد يقول قائل إن هذه الرسالة ليست لبولس بل لأحد تلاميذه. ونحن لا نوافق على هذا الاستنتاج، خاصة عندما يوضع في صيغة الأمر المؤكّد، مع أنّ لا شيء يسمح بهذه التأكيدات العلمية "العقائدية" التي قد تسقط بعد سنوات قليلة، بمجرد أن تتوافر لدينا دراسات جديدة!

في المستقبل، بل الإيمان الحقيقي هو المرتبط بحضور الله وعمله في التاريخ الخاص بكل إنسان مؤمن، كما في التاريخ الخلاصي العام. فالمؤمن يختبر بأن كلام الله ومواعيده هي حقائق ثابتة وحاضرة ومحقّقة في كلّ يوم في حياته. وإن كان من رجاء للمستقبل فهو في انتظار التحقيق التام لهذه المواعد التي سبق وبدأت. بهذا الإيمان ولأجله جاء يوحنا المعمدان، وبعده المسيح، يعلنان أنّ ملكوت الله قد حضر وهو بيننا. ليس لأن ملكوت الله المطلق قد تحقّق بالتمام في مجيء المسيح وبدء رسالته، بل لأن هذا الملكوت قد بدأ، ومن يؤمن بحامله، أي المسيح، يستطيع أن يختبر مفاعيله منذ الآن. إذاً، فالإيمان الذي يرتكز أولاً وآخراً على الحقائق الأبدية الموجودة في الله الأزلي المتسامي الذي لا يتبدّل، يرتكز أيضاً على اختبار هذه الحقائق في الزمن وفي التاريخ الشخصي بمجرّد الإيمان بالله وبمسيحه[٣]، وبالخبر السار بموته وبقيامته، أي بالإنجيل[٤].

والإيمان المسيحي لا يرتكز فقط على المعرفة بموت المسيح وبقيامته، بل أيضاً وخاصة على اختبار انتقال المؤمن هو نفسه من موت خطاياه وجهله وموته وإنسانه القديم المستعبد للأوثان والعاجز عن الحياة... إلى الإنسان الجديد الذي هو على مثال ابن الله. وكيف عاش ابن الله؟ لقد عاش من حبّ الآب المطلق والثقة به والانتصار على الخوف من الموت، لدرجة أنه مات على الصليب حبًّا بالله وبالإنسان الخاطئ. فالمؤمن هو أيضاً، مثل المسيح، يستطيع أن يحبّ ببعد الصليب، ويتصالح مصالحة عميقة مع الله ومع الذات ومع القريب. لذلك فالتطبيق العملي للنص الذي نعالجه في أفسس ٢: ١-١٠ يعبّر عنه بولس في نفس النص، في الآيات ١١-٢٢ التي تؤكّد على هذه المصالحة التي تمّت بدم المسيح وبصليبه بين الوثنيين واليهود، وبينهم ومع الله، حتى إنّهم صاروا سكان مدينة الله ومدينة القديسين، لأن مسكن الله نفسه (السماء) صار موجوداً فيهم وبينهم من خلال الروح القدس، روح المسيح المحيي! إذاً فالإيمان هو ضمان ما نرجو! وليس الرجاء هو أن نتمنّى بأنّ ما نؤمن به (عقلياً) قد يتحقق في المستقبل. إنه الضمان لتمام تحقيق ما سبق وبدأنا اختباره بطريقة أكيدة وحقيقيّة في الحياة اليومية. والذي يؤمن هو الذي يعرف بدون شك بأن ما يؤمن به حقيقة حاضرة، ولكنها تنمو حتى بلوغ الملء في المسيح يسوع.

هذا المفهوم للإيمان موجود في كل الكتاب المقدّس، ولا حاجة لأن نشرحه هنا، ولكن ما أردنا أن نؤكّده هنا، هو أنّ قول بولس بأنه "أقامنا وأجلسنا مع المسيح في السماوات" (أف ٢: ٦) يتضح من خلال الآية ٨ التي نحن بصددها، وهو أن الأمر ليس مجرّد صورة رمزية، بل حقيقة أكيدة قابلة للاختبار العملي لدى كلّ من يختبر قوّة الإيمان وفعاليّة إعلان "الكريغما"، الخبر السار، بموت المسيح وقيامته.

وهذا ما يفسّر ايضاً قول بولس الدائم بأن الخلاص هو من الله بطريقة مجانية، وأنّ الحصول عليه يتطلّب فقط الإيمان، أي الثقة بالله وبالمسيح القائم من الموت. أمّا الأعمال فليست هي السبيل إلى الخلاص، بل الخلاص هو المدخل لكلّ الأعمال الصالحة، التي تصبح ثمرة أكيدة للإيمان، وعلامة على صحته. وهذا موضوع آخر سبق وتكلّمنا عنه في مواضع أخرى[٥].

خاتمة

بالتجسّد والقيامة صارت السماء حاضرة على الأرض، وصارت البشريّة حاضرة في قلب الثالوث الأقدس؛ وإذا كان ما نراه هنا ونعيشه هنا ليس بعد مجد السماء التام، ولكن الأكيد أننا بالإيمان نحيا حقيقة السماء ونشارك في مجدها منذ الآن بما تسمح به محدوديّة الزمان والمكان، وإلى أن نبلغ ملء قامة المسيح.

٣- رج روم ٣: ٣ت؛ ١تس ٥: ٢٤؛ ٢طيم ٢: ١٣؛ روم ٤: ١٧-٢١؛ عب ١١: ١٩.

٤- رج روم ١٠: ٨-١٧؛ ١كو ١: ٢١؛ ١٥: ١١ و١٤.

٥- راجع على سبيل المثال مقالتي في المجلّة الكهنوتيّة ١-٢ (١٩٨٨) ٧٤-٨٤.

الأيقونة بهاء وجهك
منشورات كلية اللاهوت الحبرية (١٣)
جامعة الروح القدس - الكسليك
الأيقونة بهاء وجهك
نقله إلى العربية
مشير باسيل عون
لبنان - ٢٠٠٤
(١٠)
بيليك
ظل الجليلية
جيزة قيس

التناقض بين الحياة القديمة والحياة الجديدة (أف ٤: ١٧-٣٢)

الخوري نعمة الله الخوري

تتضمّن هذه المقطوعة من الرسالة الى أهل افسس عدّة تحريضات توجّه حياة المؤمن المرتدّ حديثاً لكي يعيش حياة مسيحية تتناسب مع كيفية حياة الجماعة المسيحية التي انضمّ اليها. انّ الإشارات العديدة الى سر العماد الذي كان يُمارَس بين الجماعات المسيحية الأولى تدفعنا الى الاعتقاد انّ هذا النص يعكس أجواء الكرازة المسيحية الأولى حين كان المبشّرون يحضّرون الوثنيّين لقبول سر العماد. يبدأ هذا النص فيعرض سلوك الوثنيّين (آ ١٧-١٩)، وتصرّف المؤمنين المعاكس (آ ٢٠-٢١)، ثمّ يشدّد النص على ضرورة خلع الانسان القديم (آ ٢٢)، ولبس الانسان الجديد (آ ٢٣-٢٤)؛ ثمّ يعرض النص بعض الاستنتاجات العملية المرتبطة بهذا الانسان الجديد (آ ٢٥-٣٢).

سنحاول ان نستخرج الإشارات التي تربط هذا النص بسرّ العماد، ثمّ سنقابل بين سيرة الوثنيين وسلوك المؤمنين؛ بعد المقارنة بين الانسان القديم والانسان الجديد، سنعرض بعض متطلبات الحياة الجديدة في المسيح التي يرسمها بولس امام قرّائه.

اولاً: ارتباط النص بليتورجيا العماد

اهتمّ الرسل والمبشّرون بتحضير الوثنيّين للانضمام الى الكنيسة، واعتنوا بإعداد هؤلاء وتنشئتهم وتعريفهم على المبادئ والأسس التي تتميّز بها الجماعة المؤمنة التي سينضمّون إليها. يشكّل العماد المرحلة الفاصلة بين حياة قديمة عنوانها الخضوع للشهوات والضلال والابتعاد عن الله، وبين حياة جديدة تلي العماد، وتتّسم بالصدق والاستقامة والاستنارة بروح الله. هذه الممارسات المرتبطة بسر العماد تجد صداها في المقطوعة التي نعالجها:

١ - يُذكّر الرسول المؤمنين الذين يتوجّه اليهم بمرحلة تعلّمهم المسيح، فيقول لهم: "أمّا أنتم فما هكذا تعلّمتم ما هو المسيح، إذا كنتم سمعتم به وتلقّيتم تعليماً مطابقاً للحقيقة التي في يسوع" (آ ٢٠-٢١)؛ هذه إشارة الى التعليم المسيحي السابق للعماد، وقد تلقّنه هؤلاء المؤمنون الذين يتوجّه إليهم الرسول بكلامه حين اختاروا الانضمام الى الجماعة المسيحية.

٢ - فرضت ليتورجيا العماد على طالبي هذا السر ان يخلعوا ثيابهم وينزلوا الى الماء كي ينالوا موهبة الروح، وبعد ذلك يُطلَب إليهم الصعود من الماء فيلبسون ثياباً بيضاء. هذه الممارسة لسرّ العماد تجد صدىً لها في هذا النص: "أتركوا سيرتكم الأولى بترك الانسان القديم الذي أفسدته الشهوات الخادعة، وتجدّدوا روحاً وعقلاً، والبسوا الانسان الجديد الذي خلقه الله على صورته" (آ ٢٢-٢٤).

٣ - تشكّل التحريضات الواردة في آ ٢٥-٣٢ مجموعة من الوصايا التي يتعلّمها المعمّد ليسير بموجب حياة جديدة بعيدة عن الكذب والسرقة والغضب وغيرها من الشرور؛ ان الحياة الجديدة تقتضي العيش بالصدق والاستقامة ومساعدة المحتاجين.

٤ - يطلب الرسول من المؤمنين ان لا يُحزنوا روح الله القدوس الذي خُتموا به ليوم الفداء (آ ٣٠)؛ هذا

الختم يُذكّرنا بالمسح بالزيت ساعة العماد حيث ينال المعمّد، بواسطة الروح، علامة أبدية تضمن انتماءه إلى الجماعة وهي لا تُمحى.

باختصار نقول إن هذه الإشارات الواضحة إلى مراحل قبول سر العماد تُضفي على النص الذي نعالجه رنّة عمادية؛ يريد الرسول ان يُعلّم قرّاءَه ان العماد يُشكّل المرحلة الفاصلة والحاسمة بين حياة قديمة عنوانها الخطيئة، وبين حياة جديدة تتمحور حول عيش الفضائل الإلهية.

ثانياً : المقابلة بين سيرة الوثنيين وسلوك المؤمنين (آ ١٧-٢١)

يُذكّر بولس قرّاءه بحياتهم السابقة التي لا يزال الوثنيون خاضعين تحت عبوديتها؛ هؤلاء الوثنيون هم فريسة الجهل الديني، لأنّ قلوبهم قاسية وبصائرهم مظلمة، فأضحوا غرباء عن الله؛ هكذا تعوّد الرسول على تحذير المؤمنين في مختلف الكنائس من هذه الحياة الوثنية الفاسدة، ونحن نجد وصفاً دقيقاً لحياة الوثنيّين الشاذة في الرسالة إلى الرومانيّين حيث يعالج الرسول هذه المسائل بإسهاب : الوثنيون يعيشون تحت غضب الله لأنهم لم يعرفوه منذ الأزل، لذلك أسلمهم الله إلى الشهوات الدنيئة، وامتلأوا إثماً وشراً وفساداً (روم ١ : ١٨-٣٢).

بعد ان عرض الرسول حياة الوثنيّين المظلمة، انتقل إلى مرحلة جديدة ومشرقة، فذكّر قرّاءه انهم تعلّموا المسيح بطريقة يجهلها الوثنيون؛ يقول لهم : "أمّا انتم فما هكذا تعلّمتم ما هو المسيح"؛ أضحى المسيح موضوع تعلّم كما يتعلّم التلميذ في المدرسة مادة الكيمياء ؛ هؤلاء المرتدّون من الوثنية تعلّموا ما هو المسيح عبر المعلّمين الذين أعدّوهم ليقبلوا سر العماد. يتضمن التعليم المسيحي إعلان الخلاص الذي تحقّق في شخص يسوع، فقد سلّم الرب القائم من الموت رسله مهمة التعليم التي تسبق سر العماد بقوله : "إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨: ١٩).

ثالثاً : ترك الانسان القديم ولبس الانسان الجديد (آ ٢٢-٢٤)

ان ترك الانسان القديم يعني التخلّي عن طريقة الحياة الأولى؛ فالمطلوب من المؤمن أن يتوب ويرتدّ عن عبادة الأوثان، وعليه أن يبتعد عن الفتور الديني، فيتحوّل داخلياً، وينال الخلاص بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس؛ هذه هي ميزات الانسان الجديد الذي يلبسه المعمّد بعد الخروج من الماء؛ فقد ترك الانسان القديم مثلما يخلع ثوباً بالياً، وبعد ذلك يلبس ثوباً جديداً يرمز إلى الانسان الجديد الذي خلقه الله على صورته ومثاله.

حين عالج الرسول موضوع العماد في رسائله ، قابل مراراً بين الانسان القديم الذي يئنّ تحت نير الخطيئة، وبين الانسان الجديد الذي يُولد بعد منح سر العماد ؛ يقول بولس في رسالته إلى أهل كولوسي : "خلعتم الانسان القديم وكلّ أعماله، ولبستم الانسان الجديد الذي يتجدّد في المعرفة على صورة خالقه" (كو ٣:٩-١٠)؛ وهنا لا بدّ من الإشارة الى التقارب الواضح والأكيد بين اف ٤ : ٢٢-٢٤ وبين كو ٣: ٩-١٠. من ناحية أخرى، نلاحظ أن الرسول يؤكّد في رسالته إلى أهل غلاطية أن الذين اعتمدوا في المسيح قد لبسوا المسيح (غل ٣: ٢٧). هذا التعرّي عن الانسان القديم ينتمي إلى الرمزية العمادية، في حين أن الثوب الجديد الذي يلبسه المؤمن يرمز إلى الحياة الجديدة التي تتبع سر العماد.

رابعاً : متطلّبات الحياة الجديدة في المسيح (آ ٢٥-٣٢)

يرسم الرسول أمام أعين قرّائه مجموعة من التحريضات التي تتوجّه إلى حياتهم الشخصية، وهي تتركّز حول العبور من الانسان القديم إلى الانسان الجديد :

١ - إمتنعوا عن الكذب (آ ٢٥)

يتضمّن النداء للابتعاد عن الكذب انقطاعاً عن الانسان القديم وانطلاقاً إلى انسان جديد يقول الحق ؛ يجب أن

يتكلّم المؤمنون بالصدق، والباعث على ذلك هو انتماؤهم إلى جسد المسيح السري، وهذا واضح من قول الرسول: "لذلك امتنعوا عن الكذب، وليتكلّم كل واحد منكم كلام الصدق مع قريبه، لأننا كلنا أعضاء بعضنا لبعض" (آ ٢٥). ان حياة الجماعة المصلّية تتطلّب الصدق في المعاملة كي ينمو جسد المسيح السري، لأن أساس هذا الجسد مبنيّ على الصدق في المعاملة.

٢ - إذا غضبتم لا تخطأوا (آ ٢٦)

الغضب والرعدة يستوليان على الانسان في وقت الشدة، وقد قال صاحب المزامير: "إرتعدوا ولا تخطأوا" (مز ٤: ٥). ويقول النص الموازي في الرسالة إلى أهل كولوسي: "إطرحوا الغضب والسخط والخبث" (كو ٣: ٨). ان الغضب بحدّ ذاته هو شرّ، ولكنّ الانسان يستطيع أن يسيطر على هذا الشر الكامن فيه، فيضع له حدّاً حين يمنع الغضب من أن يمتدّ إلى الليل: "لا تغرب الشمس على غضبكم"، وبالتالي لن يفكّر بالانتقام من خصمه. لا يجب ان يستسلم المؤمن للغضب، بل عليه أن يحتفظ بغيظه، وقد شدّد الرب في عظة الجبل على ضرورة الابتعاد عن الغضب بقوله: "من غضب على أخيه استوجب حكم القاضي" (مت ٥: ٢٢).

٣ - نصائح مختلفة (آ ٢٧ - ٣٢)

يشدّد الرسول على ضرورة التخلّي عن عدّة رذائل، أهمها السرقة والتفوّه بكلام الشر والحقد والنقمة والشتيمة وغيرها؛ استعاد بولس تعليم الوصايا التي أعطاها الله لموسى على الجبل، تلك التي تحرّم السرقة (خر ٢٠: ١٥). إن الكلمة الصالحة تخرج من فم المؤمن، في حين أن كلام الشر يميّز الخطأة، ونحن نعلم أن الشجرة الصالحة تثمر ثمراً جيداً، والشجرة الرديئة تحمل ثمراً رديئاً" (مت ٧: ١٧).

تنتهي هذه النصائح بدعوة الى الغفران (آ ٣٢)؛ فكما غفر الله لنا هكذا ينبغي أن نغفر للقريب، لأن محبة القريب ترتكز على محبة الله الذي أحبّنا فبذل نفسه لأجلنا.

خاتمة

تضمّنت المقطوعة التي درسنا مجموعة من المتناقضات التي تعالج عدة مستويات من الحياة اليومية؛ على المستوى الاجتماعي يميّز الرسول بين مجموعة من الوثنيّين الذين يعيشون في الضلال، وبين مجموعة من المؤمنين الذين يعيشون بهدي الروح القدس الذي خُتموا به. على المستوى الوجودي، قارن بولس بين الانسان القديم والانسان الجديد، وعرض الخصائص التي تميّز كلاً منهما. على مستوى الزمن، فصل الرسول بين الحياة القديمة التي تسبق العماد، وبين الحياة الجديدة التي تليه؛ هذه المتناقضات تتضمّن نصائح وإرشادات تهدف إلى بنيان الجماعة المؤمنة.

نحن أمام تعليم جديد يرسم الأطر العامة لحياة المؤمن المعمّد؛ ان الانسان الجديد الذي لبسناه ساعة العماد يتعرّض باستمرار لمجموعة من الشوائب والأخطاء، فيجب علينا أن نتجدّد دوماً من خلال الابتعاد عن الرذائل التي يعدّدها الرسول في هذه المقطوعة، لنستطيع أن نحافظ على بهاء الثوب الجديد. هذا العبور من القديم إلى الجديد هو مسيرة متواصلة بدأها شعب الله بعبوره البحر الأحمر، وختمها الرب بعبوره من الموت، ودخوله إلى حياة جديدة في المجد الأبدي. إن حياتنا التي تستلهم النصائح الإنجيلية هي استباقٌ لحياتنا الجديدة التي سنحصل عليها ساعة اللقاء بالعريس السماوي.

منشورات معهد الليتورجيا في جامعة الروح القدس ٣١

فهارس المنشورات :

مؤلفون وموضوعات

(١٩٨٢ - ٢٠٠٣)

إعداد

الأخت مارسيل هدايا

الكسليك - لبنان ٢٠٠٤

منشورات معهد الليتورجيا في جامعة الروح القدس

سلسلة المصادر الليتورجية المارونية ٥

البيت غازو المارُوني

Add. ١٤،٧٠٣

(القرن الثاني عشر - الثالث عشر)

الجزء الرابع

الحان للتوبة

قدّم له وترجمه

الأباتي يوحنّا تابت

الكسليك - لبنان

٢٠٠٤

علامات الإنشاح بالطبيعة الجديدة بحسب أفسس

الأب لويس الخوند

المقدمة

الله "اختارنا" (٤:١) بمحبة، وتبنّانا ابنه "يسوع المسيح" (٥:١)، "لنكون في حضرته قديسين" (٤:١)، بعيشنا الأدبي بقداسة و"بغير عيب فينا"، في محبتنا لله، جوابًا على محبته لنا، وفي المحبة الأخوية. دعانا إلى القداسة فإلى المجد الأبدي.

١ – "القديسون" (١٥:١)

هم المعمّدون، شعب الله الجديد (١:١). تَعمَّمت في الرسالة إلى أفسس، مُسمِّيةً المسيحيّين بـ"قديسين" بدل "الاخوة". "تذكروا أنكم كنتم بلا مسيح ولا إله" (١٢:٢). كان للمؤمنين آلهة كثيرون، ولم يعرفوا الإله الواحد الحق الحيّ. "فما أنتم بعد غرباء ولا نزلاء، بل أنتم أهل مدينة القديسين" (١٩:٢). في يسوع "كل بناء ينسق، فينمو في الرب هيكلاً مقدسًا" (٢١:٢).

٢ – تلقيتم بالمسيح تعليمًا كما هي الحقيقة في يسوع" (٢١:٤)

"الحقيقة في يسوع" هي حقيقة موته وقيامته (٢٤:٤). تأخذ الكلمة "الحق" في هذه الرسالة معنى كاملاً، كما في الانجيل الرابع، وفي خط التيار الحكمي، مع الحكمة "البرّ" (مثل ١٨:٨)، تسير "في طريق البرّ" (مثل ٢٠:٨). ويقيم "العبد الحق والخلاص" (أش ٤:٥١-٦؛ رج ١:٤٢ و٦:٤٩) : "حقي أجعله نوراً للشعوب" (أش ٤:٥١؛ رج ٦:٤٩). "برّي قريب" (أش ٥:٥١). "وبري لا يُضْرَع. إسمعوا لي يا عارفي البرّ" (أش ٧:٥١). "برّي يبقى للأبد" (أش ٨:٥١). الكلمة تعني ملء الوحي الذي تمّ في شخص يسوع المسيح، وتقبّله المؤمنون بحريّة تامّة، وقلب صادق (١٣:١؛ ٢١:٤ و٢٤؛ ٩:٥؛ ١٤:٦). "لم يكن في الكنيسة القديمة قدسيّة إلا للحقيقة. واعتبرت الكنيسة أن استقامة الرأي تتضمن استقامة السلوك"[١].

٣ – "اغضبوا ولا تخطأوا" (٢٦:٤)

يرى شراح أن الرسول يأمر بنوع من الغضب ليس هو بخطيئة، بل هو غيرة مقدسة، كغيرة إيليا، ودفاع عن الخير ضد الشرّ، كالطمع وعبادة الوثن (٥:٥)، أي المال وملذات الدنيا. والرضى عن الرذيلة وإخفاؤها شرّ وخطيئة (١٢:٥-١٣)، وكذلك السكر بالخمر "لان فيه طيشاً" (١٨:٥).

٤ – "لا تملّوا المضايق" (١٣:٣)

يسأل بولس أهل فيليبي "أن لا تقف عزيمتكم بسبب الضيقات التي أعانيها من أجلكم" ؛ ألاّ تكون مَضَايِقُهُ سبب ملل لهم في الايمان بيسوع المسيح، بدل الجرأة والثقة. وهكذا لا يترك بولس اليأس يدخل إلى قلبه، ويريد ألا يدخل إلى قلوب مؤمني أفسس بسبب الألم.

٥ – وحدة الروح

يدعو بولس الافسسيين إلى

١– جورج خضر، "نقد المؤسسة الدينية"، جريدة النهار، الجمعة ٢١/١٠/٢٠٠٣.

الوحدة، "باذلين الجهد في أن تحفظوا وحدة الروح برباط السلام" (٤:٣). سلام المؤمنين ينبع من سلام الخلق كله مجموعًا في المسيح (١:١٠)؛ ومن سلام الشعبين اليهودي والوثني مصالحَين بدم المسيح (٢:١٤-١٧). وهذا هو خلق جديد في المسيح (٢:١٥).

٦ - "في برّ الله"

تاريخ الخلاص الذي سمّاه بولس "بر الله"، وجب عليه، بحسب قراءة أولى للتوراة، أن يمرّ باعتراف إسرائيل كلّه بيسوع على أنه المسيح. وهكذا نصل إلى الايمان الذي يرتبط أيضًا بالمحبة وبالحياة الاخلاقية.

٧ - "بكل بركة روحية"

في العهد الجديد، لقب "مبارك" لا يعني إلا الله الآب. في المسيح "باركنا الله بكل بركة روحيّة" (١:٣ و٤-١٢)، فشاركنا في هذه البركة في الايمان بالانجيل وعطية الروح القدس (١:١٣)، "عربون ميراثنا" (١:١٤).

٨ - في العلاقات الزوجيّة

الخضوع المتبادل "بمخافة المسيح" (٥:٢١)، "رأس الكنيسة، وهو مخلّص الجسد" (٥:٢٣). "كذلك على الرجال أيضًا أن يحبّوا نساءَهم حبَّهم لأجسادهم" (٥:٢٨). "فما من أحد ابغض جسده البتّة" (٥:٢٩). "يصير الانسان جسداً واحداً" (٥:٣١؛ تك ٢:٢٤).

٩ - "وثنيون في الجسد سابقًا" (٢:١١)

يشدد بولس بشكل خاص على "البدن" (ساركس) أي الحياة على هذه الأرض، الحياة البشرية. فـ"البدن" هو كمركز الأهواء والخطيئة (٢:٣). وعبارة "حسب الشريعة" (في الجسد) التي نقرأها في ٢:١١، تعود إلى النسل البشري. والحكم بحسب البدن هو حكم بحسب الظاهر، حسب أفكار البشر (٦:٥). وعبارة "اللحم (ساركس) والدم" (٦:١٢) تدلّ على الطبيعة البشرية، الضعيفة الفاسدة والمحدودة. إذا يعارض "البدن" الأرواح القديرة، الأرواح السماوية. ويتنوع منذ بولس المعنى الدنيء للبدن. (بَسَر، ساركس). يدل البدن مراراً على الضعف الخلقي لدى الانسان (٢:١١)، "من دون المسيح"، "بدون إله" في هذا العالم (٢:١٢). "فمن هو في البدن" يُعارض مَن هو "في المسيح" (٢:١٣). ففي نظر بولس، البدن أو جسد الانسان البشري هو ركن الخطيئة وأداتها (٢:٣). فالثنائيّة التي يكتشفها بولس في الانسان ليست على مستوى الكيان، بل على المستوى الخلقي.

١٠ - "جسد الرب يُبنى في المجد"

يسوع هو الذي يعطي كلّ واحد مكانه وخدمته، بحيث تكون العناصر في وثاق وتماسك. وهكذا يُبنى جسد الرب في المحبّة (٤:١١-١٦). إن الجسد يبنى كله بفعل الرأس الذي هو المسيح (٤:١٥-١٦). يبنى في جميع أجزائه. وخدمة بناء الكنيسة (١:٢٣؛ ٢:١٢؛ ٤:٤ و١٢ و١٦؛ ٥:٢٣-٣٠) هي "عمل الأنبياء والمبشرين والرعاة والعلمانيين" (٤:١١).

١١ - الحق في سبيل السلوك

معرفة "الحق" هي من أجل السلوك. فلسنا هنا فقط أمام البحث المجرّد عن الحقيقة النظريّة، بل أمام الحاجة لمعرفة تفيدنا من أجل سلوكنا اليومي. فالسند المتين للمسيحي هو يسوع المسيح (٤:٢١)، هو الانجيل (٤:١١) الذي هو كلمة الحق النهائية (١:١٣)، التي تقوّي فينا "الانسان الداخلي" (٣:١٦)، وفوق "محبة المسيح التي تفوق كل معرفة" (٣:١٩)، وتوجهنا نحو الممارسة الخلقية.

١٢ - والحكمة من الله

قيمتها ليست كبيرة إلا بقدر ما تتوجّه نحو الأخلاق والدين. الحكمة الحقيقية هي عطية من الله، وهي تجعل الانسان، جديراً بأن يتقبّل وَحْيَ مخطط الله الخلاصي (١:٨-٩ و١٧-١٨)، مخطط الله السري من أجل الخلاص (١:١٠) المرتبط بالشريعة الاخلاقية. وهذه هي القداسة، هي طاعة مستمرة للحقيقة (٥:٢٦).

١٣- في خدمة سر المسيح

يولي خادم سرّ المسيح (٣:١-١٣)، الذي أُعلِنَ، "بالروح لرسله القديسين والأنبياء" (٣:٥)، الذي صار بولس "خادمًا له" (٣:٧)، "هو حجر الزاوية" (٢:٢٠). "وهو الذي أعطى المواهب لعمل الحقيقة" (٤:١١). فمنذ خدمة الرسل، اصبحت كل وظيفة في الكنيسة خدمة، شهادة للانجيل (٦:٢١). فحين نعلن كلمة الله، فهي "كلمة الحق وبشرى الخلاص" (١:١٣) المجاني بالمسيح (٢:١-١٠). وكلمة الله هي المسيح ذاته في وسطنا (٣:١-١٣)، فالخلاص به.

١٤- الخلاص بالمسيح

ولأن الخطيئة تسود جميع البشر ما داموا لم يُخَلَّصوا بالمسيح (٢:١-٣). ولقب "مخلّص" سُوتِير باليونانيّة (روم ٥:٢٣) أعطاه العهد الجديد مراراً ليسوع المسيح. فمن الله انتقل من ملكوت الموت إلى ملكوت الحياة (٢:١٥). إن تلك الحياة منذ الآن موضوع امتلاك حالي (اسكاتولوجيا مسبقة)، نحن نتقبّلها بـ"نعمة الله" (٣:٢) التي وهبت لنا "بفعل قدرته" (٣:٧) . فالمسيح هو رأس كل رئاسة وكل سلطان (١:٢٠-٢٢). كل شيء خضع له (١:٢٩). لذا نخضع بعضنا لبعض "بمخافة المسيح" (٥:٢١). فبدم يسوع لنا الفداء (١:٧).

١٥- وخيرات الخلاص منذ الآن

فالمسيحي الذي هو (أو : يحيا) في الروح، يمتلك منذ الآن خيرات الخلاص. الروح عربون الميراث الإلهي في المجد الأبدي (١:١٣-١٤). بالرجاء يتميز المسيحي عن الذين لا رجاء لهم، عن الوثنيين (٢:١٢). فالروح "عربون" (١:١٣) يملأنا (٥:١٨). به نصل إلى خدمة الكنيسة (٤:١١-١٢)، عمل الرسالة "بمشيئة الله" (١:١). وخلاص البشر يأتي بالذاكرة (٤:٥).

١٦- عرّفنا الله سر مشيئته

لقد أُعطي للرسول أن يعرّف الناس إلى الانجيل. وقد عرّفنا الله سرّ مشيئته (١:٩). في ٦:٩ يقول بولس: "صلّوا حتى... أعلن به بجرأة سر بشارة المسيح". اليوم، وبفضل مجيء المسيح، قد كشف سر الله بالروح لا للقديسين وحسب، بل للوثنيين الذين وُجِّه إليهم الانجيل (٣:٤-٥ و٩). دعوة الوثنيين التي لم يكن يتوقعها أحد، وهي سرّ تبديل العادات والتقاليد (٣:٣). فقد عارض بولس مرارا المتهودين، بإبراز "سرّ" (٣:٥-٦) خلاص الوثنيين. ففي المسيح لا يهودي ولا وثني (٢:١١-١٤). جميعهم يخلصون في الايمان بيسوع المسيح وعطية الروح؛ جميعهم أبناء الله ووارثو المواعيد (٣:٦؛ رج ٢:١٢). والميراث الذي يتحدث عنه بولس، ليس أرض كنعان، بل ملكوت المسيح والله. والذين استسلموا للرذائل لا يُقْبَلون في الملكوت السماوي.

فالشيطان (سَتَانَاس أو دْيَابُولُوس)، محرّك الخطيئة، حتى يومنا (٢:٢)، وله تخضع الارواح الشريرة (٦:١٢) ، لا تقدر الجماعات المسيحية أن تقاومه إلا بقوة الايمان (٦:١٦). فالتحرك الروحي المسيحي (٦:٨) تُحدِثُه النعمة فينا (٤:٨-١٣)، فتُحدث تبدّلاً روحيًا يكوّن الانسان الجديد (٤:٢٢-٢٤). فعلى المسيحي الذي تقدس بالروح أن يرفض الشر مع النجاسة، في معنى الفوضى على مستوى الجنس (٤:١٩؛ ٥:٣-٥). تلك هي الطهارة الخلقية، العبور من حالة الخطيئة إلى حالة البرّ. فالمعمّد ليس المسيح، والمسيحيون يتطهرون بالمعمودية ويتقدسون بالكلمة (٥:٢٦)، ليكونوا هيكلاً مقدسًا (٢:٢١). وبالاتحاد مع المسيح الذي يتحقق بالمعمودية، يجعل من القيامة واقعًا آتيا (بشكل من الاشكال) بحيث أن المعمدين يجلسون منذ الآن عن يمين الله (٢:٦)، منذ الحياة الحاضرة (١:١٣-١٤).

١٧- فالكنيسة "ملء" المسيح

تبرّرت الكنيسة بموت المسيح وقيامته، وهي تستعد لتقبل ملء الخيرات المقبلة التي تسلّمت من الآن بواكيرها (١:١٤). لذا، كان للعنصر المواهبي أهمية، مع مكانة للرسل

والمبشرين والأنبياء (٤:١١). إن أهم اعتبار عن الكنيسة، عن الكنيسة الجسد، نجد ملء توسّعه في ١:١٠ و٢٢-٢٣؛ ٢:١٦؛ ٤:٤-١٦؛ ٥:٢٢-٢٣ . إنّ تطوّر فكر بولس انطلاقًا من الرسائل الكبرى، نجد تعبيره في الألفاظ التي استعملها الرسول. فلا تسمّى الكنيسة "الملء" (پْلِيرُوما)، ملء المسيح، إلا في أف. غير أن الرسول يحتفظ بالمعنى الأصيل للصورة : الوحدة الضرورية في تنوّع المواهب مع أولوية المحبة (٢:١٤-١٨؛ ٣:٦؛ ٤:١-١٦). ويسوع المسيح قد خلق الكنيسة حين ألغى على الصليب العداوة بين اليهود والوثنيين، فجعل المصالحة بين الفئتين، ودمّر حاجز الشريعة الذي كان يفصل بينهما (٢:١٣-١٦). إذاً، خلّص يسوع الكنيسة باذلاً نفسه حبًّا لها. فاقتنى هكذا عروسًا لا عيب فيها (٥:٢٣-٢٧). بما أنّه رأس الكنيسة، فهو يملك الأولوية المطلقة (١:٢٢-٢٣). إن المسيح المساوي هو في الوقت عينه مبدأ نموّ الكنيسة وحياتها (٤:١٥-١٦)، ذلك الذي "منه" (٤:١٦) و"إليه" (٤:٥)، يتمّ نموّ الجسد وبناؤه في الروح (٢:٢٢؛ ٤:٤) والمحبة (٤:١٦)، بمشاركة وثيقة بين الذين نالوا موهبته في الكنيسة لخير الكنيسة (٤:١١-١٣) وحياتها في البرّ.

أراد بولس الرسول بهذه الصور أن يعبّر عن أكثر من فكرة بسيطة تدلّ على سيادة (هو "السيّد" و"الرب") المسيح على الكنيسة. فالكنيسة هي جسد المسيح، أي هي متحدة بالرأس في شراكة حياة وثيقة. والكنيسة بما أنها جسد المسيح، هي "ملء" (پْلِيرُوما) المسيح، واعتبرت (١:١٠) المسيح المركز الذي فيه تلتقي الكنيسة ("ما هو السماء وما هو الارض"، أي البشر والملائكة) والكون.

صورة الكنيسة عروس المسيح ترتبط بصورة الجسد (٥:٢٣-٣٢). فالمسيح هو رأس جسده، الكنيسة، والمرأة هي جسد الانسان (آ ٢٨). فبين المسيح والكنيسة علاقة تشبه علاقة الرجل بالمرأة، علاقة هي المثال العامل للعلاقات التي يجب أن تقوم بين الزوجَين المسيحيَّين (آ ٢٣-٣٢) . وإذا كان هذا السر عظيمًا فلأنه يعني المسيح والكنيسة في علاقتهما المتبادلة (آ ٣٢). هذا الموضوع الذي اندرج في وسط التوصيات الخلقية، قد تَشَرَّب أفكار الكنيسة الأولى حول يسوع الذي هو العريس.

وتصوّر الكنيسة أيضًا كبناء، كهيكل (٢:٢٠-٢٢). والكنيسة هي عائلة الله (٥:١٩)، فيها يقتني الاعضاء حق المواطنية (٢:٢٢) لكي يصيروا مواطنين مع القديسين (٢:١٩).

نرى أن كل هذه الأمور تلتقي لتعبّر عن فكرة أساسيّة هي وحدة الكنيسة في المسيح، ويتواصل الوحي النبوي ما تواصل كمال القديسين وبناء جسد المسيح (٤:١١-١٢)، الذي يدعمه الآباء والمؤمنون الموافقون على عمل الله (راجع خاصة ١:١٣؛ ٤:١٠؛ ٢١ و٢٤؛ ٦:١٤).

الخاتمة

فالانسان يستطيع أن يتجدّد من الداخل، لا بدافع داخلي غريزي، بل بواسطة "نعمة الله"، التي تعمل في قلوب البشر بطريقة غير منظورة. وبواسطة الروح "عربون الميراث" (١:١٤) يتجدد الانسان كلّه باطنيًا بانتظار افتداء الجسد.

فـ"انهضوا وشدّوا أحقاءكم بالحق، وتدرّبوا بالبرّ، وانتعلوا بالغيرة على نشر إنجيل السلام" (٦:١٤). "إمتلئوا من الروح" (٥:١٨)، "الذي به ختمتم ليوم الفداء" (٤:٣٠)، "لكي تمتلئوا حتى ملء الله كلّه" (٣:١٩). لأنّا "قد خُلقنا في المسيح يسوع للأعمال الصالحة" (٢:١٠). و"اسلكوا كأولاد النور" (٥:٨). وتجدّدوا "في أذهانكم تجدّداً روحيّاً". والبسوا "الإنسان" الجديد الذي خُلق على مثال الله في البرّ وقداسة الحق" (٤:٢٤). فالانسان المخلوق على صورة الله، أُلقيَ إليه أن يسوسَ العالم بالبرّ والقداسة"[٢]. وهذا

٢- المجمع الفاتيكاني الثاني، دستور راعوي حول الكنيسة في عالم اليوم، "فرح ورجاء"، ٨/١٢/١٩٦٥، ١/٣٤.

تيودوريتس القورشي
والرسالة إلى أفسس

نبذة عن تيودوريتس

وُلد تيودوريتس في أنطاكيا سنة ٣٩٣، وتربى في الأديرة. انتخب سنة ٤٢٣ أسقفًا على قورش، وهي مدينة صغيرة، قريبة من أنطاكيا، فساس أبرشيته بحكمة وغيرة خلال خمس وثلاثين سنة.

هذا الذي كان آخر اللاهوتيين الكبار في أنطاكيا، ترك، على ما قال هو نفسه، خمسة وثلاثين مؤلَّفًا. عرف الأدب اليوناني منذ هوميروس وصولاً إلى أفلوطين وبورفيريوس، كما عرف اللغات العديدة، فضلاً عن السريانية لغته، فاشتهر بسعة علمه في كل مجالات المعرفة.

كتاباته في تفسير الكتاب المقدس واسعة، وهي تعطي صورة دقيقة عن مدرسة أنطاكيا. هو يقدّم ملاحظات دقيقة وفي محلّها، فيبتعد عن حُبّ تيودورس، أسقف المصيصة، للحرف، دون أن يرتمي في أسلوب الاستعارة، كما أخذت به مدرسة الإسكندرية. فسّر عدداً من الكتب البيبليّة، وترك مقالات بشكل سؤال جواب في ما يخصّ الأسفار الخمسة، وأسفار يشوع والقضاة وراعوت.

فسّر الكثير في العهد القديم، ولكن لم يصل إلينا من العهد الجديد سوى تفسير رسائل القديس بولس الأربع عشرة. أيكون بعد أن أنهى العهد القديم عاد إلى العهد الجديد، فما استطاع أن يكمل ؟ ربما. وها نحن نقدم بعض المقاطع من تفسيره للرسالة إلى أفسس. بعد المقدمة أوردنا بضع آياتٍ شَرَحَها.

الرسالة إلى أفسس

١ – المقدمة

بين الذين سبق لهم وشرحوا الرسول الإلهي، ظنّ بعضهم أن الإنجيلي يوحنا كان أول من نقل إلى الأفسسين بلاغ الخلاص. أما بعضهم فأعلنوا أن آخرين قاموا بالعمل، بحيث لم يكن الرسول الإلهي رأى الأفسسيين حين كتب لهم هذه الرسالة. نجد أن خبر أعمال الرسل لا يعلّمنا شيئًا عن هذا الرأي وذاك. إذن، نعرف بشكل أوضح الحقيقة إن تذكرنا هذا الخبر، من الواضح أن مدينة أفسس لم تكن بعد نعمت، في ذلك الوقت، ببلاغ الخلاص، لأن الرسول الإلهي ما كان ليتخلّى عن المؤمنين ليسعى إلى مجمع اليهود. بالتالي، ليس يوحنا الإلهي أول من حمل إليهم بلاغ الخلاص، بل بولس المعلم، كما علّمنا ذلك بوضوح خبر سفر الأعمال.

٢-١:١٥-١٦: "كذلك، ما إن سمعت بإيمانكم بالرب يسوع، وبمحبتكم لجميع الإخوة القديسين، حتى أخذت أشكر الله بلا انقطاع لأجلكم وأذكركم في صلواتي".

انطلق بعضهم من هذا المقطع ليفترضوا أن الرسول الإلهي كتب رسالته قبل أن يراهم. ولكن، وجب عليهم أن يلاحظوا أنه حين كتب أيضًا للكورنثيين، وبعد أن قال هذه الأمور المحزنة، كتب في رسالته : "يا إخوتي، أخبرني عنكم أهل كَلوَة، أن بينكم شقاقات" (١ كور ١:١١).

٣-١:٣-٤: "لذلك أنا بولس... كيف كشف لي سرّ تدبيره بوحي كما كتبت إليكم بإيجاز من قبل".

فعبارة : "كما كتبت لكم من قبل" لا تعني، كما ظنّ بعضهم، أنه كتب رسالة ثانية. فهو تكلّم عن شخصه قائلاً : "كما كتبت لكم"، بل عن "السرّ". فإليكم ما قال : "حسب الوحي، كُشف لي السرّ، كما كتبت لكم بإيجاز من قبل"، أعني السر الذي عنه أكتب لكم الآن. فهذا ما عالجه منذ مطلع الرسالة إلى هذا المقطع. وعنه سوف يتكلم في الآيات اللاحقة.

٤-٥:١٤: "لذلك قيل : إنهض أيها النائم، وقم من بين الأموات، فيضيء لك المسيح".

يجب أن نعرف أننا أمام شهادة من الكتاب. فهذا ما لا نجده في أي موضع من الكتب المقدسة. قال بعض الشرّاح إن أناسًا نالوا نعمة الروح دوّنوا مزامير، وإن الرسول الإلهي جعلنا نفهم هذا في رسالته إلى الكورنثيين : "كل واحد عنده مزمور" (١ كو ١٤:٢٦).

الكلام يشمل الأعمال اليوميّة الصادقة أيضًا. فعلى الإنسان، وقد أُدخِلَ المعركة "ضدّ قوى الظلمة"، "أن يُناضل أبداً لكي يلزم الخير"[٣]. "ولذلك تُوَجَّه الدعوة بإلحاح إلى جميع المسيحيين الذين يتمّمون الحق بالمحبة" (٤:١٥) إلى أن يتّحدوا بالناس المسالمين حقًا ليطلبوا السلام ويعملوا على إرسائه"[٤]، "متينًا". "ومما لا شك فيه، أن عملا كهذا يطلب منهم اليوم أن يفتحوا عقولهم وقلوبهم إلى أبعد من حدود أوطانهم"[٥]. "وإنه لمن باب الضرورة القصوى والملحة، أن تتجدّد الذهنيّات من خلال التربية"[٦] والالتزام في أعمال فعليّة.

"إن الاسلوب الواجب اتباعه لبلوغ ملء الشراكة هو حوار الحقيقة يغذّيه ويسنده حوار المحبة"[٧].

المراجع

- أونغليون، **الرسائل والرؤيا**، جامعة الروح القدس – الكسليك، ١٩٩٢، ص ٨٥٥–٨٧٨.
- بولس الفغالي، "أفسس"، في **المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم**، ٢٠٠٣، ص ٢/١٢٣–١/١٢٥.
- بولس الفغالي، **رسالة بولس إلى أهل أفسس**، محطات كتابية ٢، الرابطة الكتابية، ١٩٩٦.

بالعماد يتّشحُ المؤمن بالطبيعة الجديدة. في أف ٤–٦ يتوجّه بولس راي الأفسسيين الذين لبسوا العماد

منمنمة من القرن الرابع عشر لحفل عماد.

٣– المرجع نفسه، ٢/٣٧.
٤– المرجع نفسه، ٤/٧٨.
٥– المرجع نفسه، ٢/٨٢.
٦– المرجع نفسه، ٣/٨٢.
٧– يوحنا بولس الثاني، **رجاء جديد للبنان**، ١٩٩٧/٧/١٠، ١٢.

عالم الأرواح في رسالة أفسس

القس عيسى دياب

"عالم الأرواح" أي العالم الذي تعيش وتعمل فيه الأرواح الخيِّرة والأرواح الشريرة، المخلوقات المدعوة شياطين أو ملائكة، ولا أعني "العالم الروحي" الذي هو عالم الله، ولا "عالم الروح" الذي هو المكان الذي تذهب إليه نفوس (أرواح) الأبرار بعد الموت، أو الحالة الروحية التي صارت ليوحنا عندما تجلت له رؤياه (رؤ ١: ١٠). لبولس، أو لكاتب رسالة أفسس، تعليم عن عالم الروح، لا بد أن يكون قد استقاه من النظريات التي كانت سائدة في أيامه، ومنها ما هو يهودي عرفته جماعة قمران، ومنها ما هو يوناني تعرف إليه بولس بواسطة تعرضه للفكر اليوناني. أستعرض أولاً التعليم الكتابي كما سطره بولس، أو من عكس فكره، في رسالة أفسس، ثم أحاول أن أرسم النظام الكوزمولوجي، واضعاً فيه "عالم الأرواح"، خاصة في هذه الرسالة، كما كان بولس وغيره في أيامه يتصورونه. وأحاول قدر المستطاع أن أحصر الكلام عن الموضوع في رسالة أفسس، وإلا يلزم جهدٌ ومساحة أكبر.

أولاً: استعراض النصوص البيبلية في أفسس حول عالم الأرواح

يتجلى تعليم كاتب رسالة أفسس (بولس أو أحد تلاميذه) عن عالم الأرواح في هذه الرسالة بشكل واضح. فالله الآب أقام المسيح من الأموات، "وأجلسه عن يمينه في **السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوى وسيادة وكل اسم يُسمى**، ليس في هذا الدهر فقط، بل في المستقبل أيضاً" (١: ٢٠-٢١). يذكِّر الكاتب الأفسسيين بمرحلة ما قبل الاهتداء إلى المسيح: "وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التي سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم، حسب **رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل الآن** في أبناء المعصية" (٢: ١-٢). "أقامنا وأجلسنا معه في السماويات" (٢:٦). ويتكلم الكاتب عن دور الكنيسة في نشر "سر المسيح"، فيقول: "لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة" (٣: ١٠). ثم يحني الكاتب ركبتيه في حضرة "أبي ربنا يسوع المسيح الذي منه تُسمَّى **كل عشيرة في السموات وعلى الأرض**" (٣: ١٥). ويصف الكاتب صعود المسيح: "هو الذي صعد أيضاً **فوق جميع السموات** لكي يملأ الكل" (٤: ١٠). التصاريح الأخيرة في الرسالة عن الحرب الروحية هي أوضح ما يكون عن عالم الأرواح: "إلبسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس. فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع **الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات**" (٦: ١١-١٢). من بين الأسلحة المطلوب حملها "ترس الإيمان الذي به تقدرون أن تطفئوا **سهام الشرير الملتهبة**" (٦:١٦).

تقوم نظرية كاتب رسالة أفسس عن عالم الأرواح على الأفكار التالية :

١- نلاحظ أن **السماويات** (epouranis)، التي يصعب تفسيرها بدقة، هي المكان الذي أجلس الله الآب فيه المسيح عن يمينه (١: ٢٠)، والمكان حيث أجلس الله المؤمنين بالمسيح أيضاً (٢:٦)، والمكان الذي تصل

شهادة الكنيسة إليه ويُعَرَّف بحكمتها "عند الرؤساء والسلاطين" (٣:١٠)، وهي، في نفس الوقت، المكان الذي تتواجد وتعمل فيه الرؤساء والسلاطين وولاة العالم على ظلمة هذا الدهر (الأرواح الشريرة) (٦:١٢)، وهذا أمر غريب. من جهة ثانية، تسمى المنطقة التي يعمل فيها ومنها الشرير "**الهواء**" (٢:٢). فهل نفهم من هذا أن "**السماويات**"، بنظر الكاتب، هي منطقة "**الهواء**" ؟ أو أن "السماويات" مقسمة إلى مناطق مختلفة ؟

٢- نلاحظ أن بولس يضع هذه المخلوقات الروحية (؟) على رتب متنوعة ومتدرجة (؟): "**رياسة وسلطان وقوى وسيادة وكل اسم يُسمى**، ليس في هذا الدهر فقط، بل في المستقبل أيضاً" (١:٢٠-٢١)؛ **رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية**" (٢:١-٢)؛ "لكي يُعرَّف الآن عند **الرؤساء والسلاطين في السماويات** بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة" (٣:١٠) ؛ **كل عشيرة في السموات وعلى الأرض**" (٣:١٥)؛ **الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات**" (٦:١٢).

٣- يقسم الكاتب "سكان الكون" إلى "عشائر" التي تعني أصنافاً من المخلوقات، منها ما هو أرضي ومنها ما هو سماوي وروحي (٣:١٥). ويطابق هذا التعليم ما جاء في الفصل الخامس عشر من الرسالة الأولى إلى كنيسة كورنثوس، فصل كامل عن القيامة حيث يعدد أنواعاً مختلفة من "الأجساد"، والجسد في الفكر السامي هو كل المخلوق (أنظر ١كو ١٥: ٣٥-٤٢).

٤- لا شك أن الكاتب يقصد بالقوات والسلاطين والرياسات المجموعات الروحية الخيِّرة (الملائكة) والشريرة (الشياطين والأبالسة)، ونحار في أمرنا متى يقصد الكاتب، بهذه المخلوقات، أرواحاً خيِّرة، ومتى يقصد أرواحاً شريرة، ومتى يقصد بها "المخلوقات الروحية" بغض النظر خيِّرة كانت أم شريرة.

٥- يتكلم بولس عن مملكة روحية شريرة، يرأسها رئيس "روح": "**رئيس سلطان الهواء ، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية**" (٢:١-٢).

ثانياً: عالم الروح في كوزمولوجيا العالم القديم

كان العالم القديم يقسم الكوزموس إلى ثلاث مناطق: اليابسة (الأرض)، تحتها وفوقها، وهذا واضح في رسائل بولسية أخرى: "لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن **في السماء**، ومن على **الأرض**، من تحت الأرض" (في ٢: ١٠). وكان يُعتقد بأن هذه المناطق الثلاثة مأهولة: الأرض بالبشر، فوق الأرض بالأرواح، تحت الأرض بالحيوانات الأسطورية الكبيرة التي تجسد الشر، وتحت الأرض عالم الموتى وسجن الأرواح الشريرة كما سنرى. لم تتغير كثيراً هذه الكوزمولوجيا منذ نشوئها قديماً وحتى بداية العصر الكوبرنيكي، أي أنها كانت سائدة في زمن العهد الجديد.

وينطلق الكاتب في أفسس من المفاهيم القديمة، فيتطرق إلى ثلاثة أقسام رئيسة للكوزمولوجيا: (١) تحت الأرض، (٢) الأرض، (٣) فوق الأرض الذي يُدعى غالباً السماء، يدعوه بولس هنا بأسماء مختلفة: "الهواء" (٢:٢)، "السماويات" = الأماكن "السماوية". "تحت الأرض"، ويدعوه بولس في هذه الرسالة "أقسام الأرض السفلى" (٤:٩) التي تعني إما القبر أو الهاوية ("شِئول" بالعبرية، و"هادس" باليونانية) حيث مثوى الأموات وسجن بعض الأرواح التي تمردت قديماً على الله (٢بط ٢: ٤؛ يه ٦؛ أنظر لو ٨: ٣١؛ رؤ ٢٠: ٢ و٣). الأرض، البسيطة، اليابسة أو سطح الأرض، هو مكان سكنى وعمل الأحياء من البشر والبهائم، حيث الشجر والنبات

والزرع. أما فوق الأرض، الهواء، الأماكن السماوية، فهو على طبقات. تكلم بولس عن "السماء الثالثة" حيث الفردوس (٢كو ١٢:٢). هذه هي "السماويات" أو "الأماكن السماوية" أو "الهواء" في أفسس. تأخذ هذه المنطقة الحيز الأكبر من بحثنا في هذه المقالة.

كان العالم القديم يؤمن إيماناً قوياً بالشياطين وبالملائكة، وبالأرواح الشريرة والأرواح الخيِّرة، وكانوا يعتقدون أن منطقة الهواء مزدحمة بهذه المخلوقات الروحية. ينقل لنا أستاذ العهد الجديد المشهور، وليم باركلي، أقوال بعض حكماء اليونان عن عالم الأرواح[١]: قال فيثاغوروس: "إن الهواء كله مليء بالأرواح". قال فيلو: "هناك أرواح تطير في كل مكان في كل الهواء"؛ "إن الهواء هو بيت الأرواح التي لا أجساد لها".

هذا الهواء هو أيضاً "**السماويات**" وهذه مقسمة إلى مناطق مختلفة: منطقة سكن الله والأرواح الخيِّرة، منطقة سكن الشيطان والأرواح الشريرة، ولكن نرى في النصوص البيبلية أن هاتين المنطقتين تتداخلان في كثير من الأحيان. في ١:٥، حيث يستعملها الكاتب لأول مرة في الرسالة، وقد تعني "الأمور السماوية" أو "الأماكن السماوية". لكن هذا المعنى الأخير هو المُفضَّل، مقارنةً مع الأماكن الأخرى في الرسالة حيث ترد هذه الكلمة (١: ٢٠؛ ٢: ٦؛ ٣: ١٠؛ ٦: ١٢). في ١:٥، يُفيد بولس بأن السماء (= الأماكن السماوية) هي مصدر كل البركات الروحية التي يشكر الله من أجلها. كيف لا، وفي مكان ما في هذه "السماويات" جلس المسيح عن يمين الآب، وأضحى أعلى وأعظم من كل القوات والرؤساء والسلاطين برتبها المختلفة وأقسامها المتنوعة (١: ٢١-٢٢). في منطقة أخرى من هذه "الأماكن السماوية" تدور رحى الحرب الروحية من جهة، بين الأرواح الشريرة والأرواح الخيِّرة، ومن جهة أخرى، من الأرواح الشريرة ضد المؤمنين بالمسيح (٦:١٢). ما هي علاقة هذه المنطقة بالمنطقة الأخرى حيث المسيح جالس عن يمين الآب؟ نعرف من سفر أيوب أن بني الله (الملائكة) والشيطان جميعهم يستطيعون أن يمثلوا في محضر الله في هذه الأماكن السماوية (أي ٢:١).

في "الهواء" مملكة منظمة، هي مملكة الظلام. لهذه المملكة "الهوائية" رئيس، هو الشيطان، وجيش بفرقه وأوليته: قوات، سلاطين، رياسات وسيادات. ومواطنو هذه المملكة مخلوقات روحية: "محاربتنا ليست مع لحم ودم (كائنات بشرية)". ليس هذا غريباً عن مفهوم الأناجيل (أنظر مت ١٢: ٢٤؛ يو ١٢: ٣١)، ومتفق مع تعليم بولس في رسائل أخرى (أنظر ٢كو ٤: ٤؛ كو ١: ١٣). و"أبناء المعصية (كل الذين عصوا على مثال آدم)، الذين ما زالوا على مثال آدم الأول، هم المساحة التي يعمل فيها جنود مملكة الظلام في الهواء، وهو أيضاً القناة أو الواسطة التي يهاجم بها جنود الشيطان أبناء النور من البشر. ويمكننا أن نقول إن هذه المخلوقات الروحية الشريرة تحقق مآربها على الأرض في عالم البشر من خلال بشر أمثالهم هم "أبناء المعصية".

نستطيع أن نلمس هذا الفكر في سفر دانيال. أرسل ملاك ليشجع دانيال المرتمي على الأرض تعباً من رؤيا غريبة رآها وأثقلت كاهله. ولكن "رئيس مملكة فارس" أعاق الملاك المرسل ووقف مقابله لمدة واحد وعشرين يوماً، حتى أرسل ميخائيل "واحد من الرؤساء الأولين" لإعانة الملاك الأول وإنقاذه من رئيس مملكة فارس وتسهيل طريقة ليصل إلى دانيال (أنظر دا ١٠). وكل هذه الأحداث تحدث في "الهواء"، هذا العالم المزدحم بالشياطين والملائكة.

يوجد مثل هذا الفكر في تعاليم

١- وليم باركلي، **تفسير العهد الجديد، رسالتا غلاطية وأفسس**، تعريب عبد المسيح اسطفانوس (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٠) ١٥٢.

جماعة قمران، وقد نقله "العارفون" إلى الكنيسة. يعتقد Teyssedre أنه يمكن تفسير هذه الرسالة على مستويين، "على المستوى العام، حيث يُكتفى بالمواعظ الخلقية، وعلى مستوى المعرفة السرية الذي يستحيل الدخول إليه من دون التفاسير المنقولة شفاهاً بواسطة "العارفين" في كل كنيسة"[٢]. وفي كل الأحوال صراع النور والظلام، ومملكتا النور والظلام تأخذان حيزاً كبيراً من الفكر القمراني.

يعلم بولس في مكان آخر أنه بالإيمان بالمسيح، "أنقذنا الآب من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته" (كو ١:١٣). لذلك، فالتسالونيكيون ليسوا أبناء ظلمة بل أبناء نور وأبناء نهار (١ تس ٥:٥). يحث كاتب أفسس قرّاءه، كونهم كانوا ظلمة وأما الآن نور في الرب، أن يسلكوا كأولاد نور (أف ٥:٨).

لا أدري إلى أي مدى نستطيع الأخذ بحرفية هذه الصورة، وإلى أي حد ينطبق التفسير الاستعاري عليها؟ اجتهد مفسر فقال: "من الأكثر احتمالاً أن الرسول أراد أن يوضح بهذا أن الشيطان والأرواح الساقطة، كونها بطبيعتها روحية، ليست كالبشر معلقة بهذه الأرض، بل تمارس سلطانها في المناطق العليا، التي يدعوها الرسول "السماويات" (٦:١٢)[٣]. لكن، على ما أعتقد، كان كاتب الرسالة مسلماً بهذه الصورة الحرفية لعالم الأرواح. أو، كما يظن Teyssedre ، "أن الإشارة، في الرسالة إلى أفسس" إلى عدة رتب من القوات النجمية [الفلكية] تكون لغزاً إذا لم تكن باطنية. يمر كل شيئ كأنما العامة مدعوون للاستماع إلى درس كانت معانيه وأبعاده الشاملة والمباشرة مجهولة، لكن معناه العميق كان مقصوراً على الطبقة المستنيرة". وهكذا كانت الحال في المجموعات الباطنية السرية، لأنّ هذه كانت محاربة من كتاب العهد الجديد وآباء الكنيسة. لذلك، أعود إلى رأيي المصرح به إعلاه، أن بولس وغيره، في ذلك الوقت، كانوا يسلمون بحرفية الصورة، أي بوجود عالم أرواح، في "الهواء" أو في "الأماكن السماوية". كثير من الفلاسفة والأدباء العلمانيين اليوم يسلمون بوجود هذا العالم، ويقدمون الأدلة التاريخية والأدلة الفلسفية عنه[٤]. لماذا لا نقول إنه يوجد "عوالم"، ونحن معشر البشر لا نرى ولا نلمس إلا العالم المادي الذي نعيش فيه؟ وكما أنه يوجد على الأرض ألوان كثيرة غير تلك التي يمكننا أن نراها، وأصوات كثيرة غير تلك التي يمكننا أن نسمعها، لأن عيوننا مخصصة فقط لهذه الألوان التي نراها، وآذاننا مهيئة فقط لهذه الأصوات التي نسمعها، لما لا نسلم بوجود عوالم أخرى في هذا الكون، ولكننا كبشر، ليس بإمكاننا رؤيتها ولمسها في كياننا الهيولي الذي نعيش فيه؟ إن صورة رسالة أفسس عن عالم الأرواح، فيها كثير من الاستعارة، فيها كثير من المفاهيم الكوزمولوجية التي أصبحت مغلوطة بعد اكتشاف النظام الكوبرنيكي، لكن فيها أيضاً كثير من الحقيقة المنطقية والإيمانية.

2- Bernard TEYSSEDRE, *Le Diable et l'enfer au temps de Jésus* (Paris : Albin Michel, 1985) 136.
3- Louis BONNET, *Epître de Paul* (NT 3. St Légier : Emmaüs, 1983) 374.
4- Laurent GUYENOT. *Dieu, l'homme et l'ange* (Paris : Guy Trédaniel éditeur, 1994).

الصور الأدبية في أف ٦:١٠-٢٠
الجهاد الروحي وسلاح الله

الشدياق شارل الملكي

يشكّل المقطع (أف ٦:١٠-٢٠) من الرّسالة إلى أهل أفسس خاتمة العقد في فكر القديس بولس اللاهوتي في رسالته الموجّهة إلى أهل أفسس. وقد يعود تاريخ كتابتها إلى السنتين ٦٠ و٦٢ عندما كان بولس أسيراً في روما. وعند قراءتِنا هذا المقطع، يتولد فينا شعور بالعنفوان والرّغبة في التّسلّح بكلمة الله ضدّ مكائد الشيطان وأعوانِه من البشر. إنّنا لنعيش في زمن كثُرَت فيه المشاكل والمتاعب وفتُرَت فيه المحبة وتقلّص فيه الصّدقُ والاحترام، فلا بدَّ إذاً من دواءٍ ناجعٍ لمداواة من نستطيع مداواته وهو كلام الله الضامن الأكيد للخلاص في سبيل التخلّص من تجارب الشيطان وإخماد سهامِه الملتهبة (راجع أف ٦:١٦). من هذا المنطلق، نجد أنَّ القديس بولس يعمد الى استعمال صور أدبيّة ملحميّة مستوحاة من الفكر الكتابي اليهودي والفكر الفلسفي الهلّيني والأدب الصُّوَري الروماني من أجل تبيانٍ واضح لأفكاره اللاهوتية المبنيّة على شخص المسيح، وحثٍّ متواصلٍ للمؤمنين على التعلّق بكلام الله والصّلاة والسّهر، ليمكنهم المقاومة والثبات في اليوم الشرير (راجع أف ٦:١٣). لذا سنحاول أن نستشفّ كلّ هذه الصّور الأدبية من خلال قراءتِنا المعمّقة لهذا النصّ.

يتوجّه القديس بولس في هذا المقطع من رسالتِهِ الى أهل أفسُس، فيحثّهم على الاستعداد للجهد الروحي الذي ينتظرهم ضد إبليس وأعوانِهِ، والتّقلّد بسلاحِ الله لمقاومة تلك القوى. وهذا التوجّه ما هو إلاّ خاتمة أو تكليل لمجموعة عظاتٍ وإرشادات أدبية كان قد ابتدأها في أف ٤:١. فلفظة "وبعد" (tou loipou) هي ظرف زمان لا يقتصر معناه على الوقت الحاضر (الآن) بل يتعدّاه ليشمل المستقبل أيضاً (من الآن وصاعداً)[1]. وما كلّ هذا التدقيق اللفظيّ واللّغوي إلاّ في سبيل استنهاض الهمم والاستعداد للمواجهة والمقاومة عندما يطبق يومُ الشر على المؤمنين.

وكذلك، فلفظة "سلاح" أو بالاحرى "سلاح الله الكامل" (panoplia) ترد مراراً في السبعينية ولا توجد إلاّ مرّتين في العهد الجديد. وهذه اللفظة قد استعارها القديس بولس من الأدب الهليني حيث كانت المذاهب الفلسفية، المذهب التّهكّمي (cynique) والمذهب الرواقي (stoïcien) خاصّةً، تعتمد مثل تلك الصور - الصور القتالية الملحمية- لإبراز عمق وقوّة الحكمة التي كان يستعملها الجندي في الدفاع عن ذاته وخصيلة حسن التصّرف عند الرجل اليوناني[2].

وهذا السلاح لا يُستعمل إلاّ عن طريق لِبسِه أي وضعه على الجسم. وبما أنّه سِلاحٌ روحيّ، يجب على المؤمن

1 Cf. ARNOLD Clinton E., *Ephesians, Power and Magic : The Concept of Power in Ephesians in the Light of its Historical Setting*, Cambridge University Press, 1989.
2 *Ibid.*

المجاهد أن يقبل عطايا الله كسلاح ويستعملها لتمكّنه من الظفر. لذلك، فلفظة "إلبسوا" (endysathe) مأخوذة من المُعجم العِمادي (champ lexical baptismal), وهي تتلاقى مع الفعل تشّددوا".[3] فمن يلبس المسيح، أي يعتمد به، يكُن محصَّناً للصّمود. في سفر الحكمة (راجع حك ٥:١٥-٢٣) يصّور تدخل الله الذي يتسلّح ويسلّح خليقته ليقوم بالحرب الأخيرة ضدّ أعدائه. ويتحدث النص كذلك عن مكائد (methodeia) إبليس، عن أساليبه الملتوية ضدّ كل من يقف في جانب المسيح. وقد أعدّ اللهُ قوّة روحه القدّوس الساكن فينا لتؤازرَنا وسلاحه يحيط بنا، فإذا نحن نحارب في معركة روحيّة؛ فكل المؤمنين يجدون أنفسهم هدفاً لهجمات الشيطان لأنهم لم يعودوا من أتباعه، ولهذا يطلب منّا بولس أن نستخدم كلّ قطعة من سلاح الله لنقاوم هجمات العدوّ، وأن نصمُد راسخين في الله إبّان هذه الهجمات. لذلك "فإن مصارعتنا ليست للحمٍ ودم، بل للرّئاسات وللسلاطين، ولولاة عالم الظلام، ولأرواح الشّر في السّماوات" (أف ٦:١٢). فهذه الآية تظهر لنا بوضوح أنّ المصارعة (pale) ليست مصارعة عادية تجاه إنسانٍ زائلٍ يموت، لكن ضدّ عالم الظلام المتمثّل بالرئاسات والسلاطين وولاة عالم الظلمة وأرواح الشر. من هذا المنطلق، إنّ لفظة "مصارعتنا" قد وردت في البردي ٤٦ والمجلّد الفاتيكاني والغربي وترجمات قديمة عدّة بصيغة الجمع المخاطب، "مصارعتكم". واللفظة في الأصل اليوناني فريدة العهد الجديد. والفكر الغنّوصي يعتبر أنّ العالم المخلوق حيث تجري المصارعة هو من صنع إله الشّرّ.

ويزيد بأن المادّة الهيولية التي تكوّن العالم هي مادّة كلّها شر، لذلك فإن الظلمة تكتنفها؛ والظلمة تعني هنا سيطرة إله الشر على العالم. ويعتبر الفكرُ الغنّوصي كذلك أنّ عبارة "ولاة هذا العالم" (Kosmokratôr) تعني مُجمل الآلهة التي تحكم الكون وتسيّره، كالإلهين هِرمِس (Hermes) وسَرَابيس (Sarapis) اللذين يسمحان بكسوف متكّرر للشمس كعلامة لفرض سلطتهما وتحكّمهما بها.

ويعتبر أيضاً كتاب "عهد سليمان" أنّ ولاة هذا العالم هم الارواح الشريرة التي تسعى لإهلاك الجنس البشري[4]. ولفظة "روح"، التي جَمْعُها "أرواح"، تُستعمل للمرّة الثالثة وليست الأخيرة في هذه الرّسالة. فالمرّتان السابقتان (اف ١:٣ و ٥:١٩) تعطيان معنىً إيجابياً لهذه اللفظة، أما في هذه المرّة الثالثة فقد التصقت اللفظة بمعنىً سلبيّ حيث باتت تعني مجمل القوى الروحية الشرّيرة. وهذه القوى الروحية الشريرة إنّما مسكنُها هو في الفضاء بحسب عُرفِ الفكر الغنّوصي[5]. وقد كانت السماوات موضع البركة المطلقة فصارت موطن القوى الشريرة. من هنا، انطلقنا من مستوى أدنى (في العُرف اليهودي، الصحراء والبحر هما مسكن القوى المعادية لله) إلى مستوى أعلى حيث جُعِلت هذه القوى في المكان الاسمى (العرف الغنّوصي).

ولكن، كيف تكون مصارعة أو مقاومة مثل هذه الارواح التي تقف بين عالم الله وعالم البشر؟ أَلَيْسَ بسلاح الله؟ وعلى ماذا يشمل هذا السلاح؟ إنّ سلاح الله هو التّمنطق بالحق وإرضاء الله (درع البر: أف ٦:١٤)، الاستعداد لنشر الأخبار الطيّبة لإنجيل السلام (ناعلين أقدامكم : ٦:١٥)، الايمان

٣- راجع الأب بولس الفغالي، **رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس**، الرابطة الكتابية، ١٩٩٦، ص ٢٤.

4 Cf. ARNOLD C. E., *Ephesians...*, p. 343-344.

5 *Ibid.*

(الـترس : ٦:١٦)، الاعتصام بالخلاص (خوذة الخلاص : ٦:١٧)، وأخيراً التسلّح بكلام الله (السيف: ٦:١٨).

ويُعتبر السيف قطعة السلاح الوحيدة للهجوم في هذه القائمة من الأسلحة. والسيف يُستعمل هنا لا لقتل الاشرار بل لطرد الأعداء الروحيين من أمام المؤمنين المتكلين على قدرة الله. إنّ كلمة الله هي كل كلمة تخرج من فم الله (راجع مت ٤:٤ ؛ لو ٤:٤). وكلمةُ الله أيضاً هي "كلمة حيّة فاعلة، أمضى من كلّ سيفٍ ذي حدّين، تنفذ في الأعماق الى ما بين النفس والروح" (عب ٤:١٢). وهذه الصورة القتالية التي تصف كل قطعة من قطع السلاح إنّما هي مأخوذة من العصر الروماني حيث كان يُستعمل السّيف لقتل الأعداء، والدّرع للحماية من الضربات، والتّرس لردّ مختلف الهجمات حتى السّهام النارية، والخوذة لحماية الرأس .

في الختام، يتبع وصفَ السلاح نداءٌ ملحّ الى الصلاة، وكأن بولس يرجع الى الواقع فلا يعود يعتمد الصّور البلاغية (الاستعارات) المستوحاة من الأدب اليهودي، والهليني، والروماني، بل يتكلّم مباشرةً عن حاجتِهِ الى الصلاة (راجع أف ٦:١٨) التي يكون مفعولها كسيفٍ ذي حدَّين، فهذا الأمر يدلّ على أنّه يعيش أيضاً مواجهةً مع "رئاساتٍ وسلاطين".

يستوحي بولس صورة للكلام على الحرب الروحية في أف ٦:١٣-١٧ من أسلحة جندي زمانه

جندي روماني من القرن الأول ب.م. بلباسه وعدّته الحربيّين. روما، متحف الحضارة الرومانية

المراجع

الأب بولس الفغالي، **رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس**، الرابطة الكتابية، ١٩٩٦.

ARNOLD Clinton E., *Ephesians, Power and Magic: The Concept of Power in Ephesians in the Light of his Historical Setting,* Cambridge Univeristy Press, 1989.

تفسير ابن الطيِّب للرسالة إلى الأفسُسيِّين

إعداد الأب أيوب شهوان

١ – مقدمات عامة

١/أ – نشر تفاسير ابن الطيب البيبلية

بعد أن نشرنا تفسير ابن الطيب لرسائل بولس: الأولى إلى القورنثيين، والرومانيين، والغلاطيين، والثانية إلى القورنثيين[٢]، يطيب لنا أن نواصل هذه المهمّة التي آلينا على نفسنا القيام بها، فننشر على صفحات هذا الإصدار من **مجلة بيبليا** تفسير الرسالة إلى الأفسسيين.

١/ب – ملاحظات منهجية

– لقد أدخلنا الترقيم على النص، تسهيلاً للقارئ والمفسِّر على حدٍّ سواء.

– إبعادًا لأيِّ التباس في القراءة، وتسهيلاً للقارئ، أدخلنا على النص الفواصل والنقاط.

– أضفنا عناوين على النص بهدف إبراز المواضيع الرئيسية في الرسالة وفي تفسيرها.

– دَعَوْنا المخطوط الذي اعتمدنا في نشر نص ابن الطيب بالحرف الأول من كلمة فاتيكان (Vatican) ، "V"، حيث هو محفوظ.

– أدرجنا أرقام صفحات المخطوط في سياق النص.

– أدخلنا المراجع المتعلقة بنص الرسالة إلى الأفسسيين في سياق النص، بالإضافة إلى مراجع بيبلية أخرى.

١/ج – ملاحظات أدبية

– يستعمل ابن الطيب أحيانًا الأداة "ما" دون أن يكون لها أي دور فعلي من حيث المعنى.

– لا يتوفق ابن الطيب دائمًا في النقل من السريانية إلى العربية، الأمر الذي يؤدّي إلى تفسير لا يتوافق مع ما أراد أن يقوله بولس الرسول.

١/د – تفسير ابن الطيب

– لا يلتزم ابن الطيب بتفسير كل الآيات، فيبدو بالتالي انتقائيًّا.

– لا يبدو ابن الطيب دقيقًا في تفسيره، فيمزج المنحى الخُلُقي بالمعنى الحقيقي للنص في كثير من الحالات.

٢ – نَصُّ المخطوط[٣]

V328b

رسالته[٤] إلى الأفسسيّين[٥] وهي أفسس

مقدمات عامة

١ كَتَبَهَا مِنْ رُومِيَةَ، وَأَرْسَلَها على[٦]

---

١ – أنظر نبذةً عنه في **مجلة بيبليا**، ٢ (١٩٩٩) ٣٨–٣٩.

٢ – **مجلة بيبليا**، ٢ (١٩٩٩) ٣٨–٣٩؛ ٦ (٢٠٠٠) ٥٧–٦٢؛ ٧ (٢٠٠٠) ٦٥–٦٩؛ ١٤ (٢٠٠٢) ٤٩–٥٤؛ ١٨ (٢٠٠٣) ٥٣–٦٠.

٣ – ورد وصفٌ للمخطوط في **مجلة بيبليا**، ٤١ (٢٠٠٢) ٩٤.

٤ – "الهاء" عائدة إلى محرر الرسالة، أي القديس بولس.

٥ – ٧: الأفسانيين.

٦ – ٧: مضافَة فوق السطر.

يَدَيْ طيطُسَ[٧]، ولَمْ يكونوا شاهدوه[٨]. وغَرَضُهُ فيها أنْ يُرِيَ أنَّ مجيءَ المسيحِ كانَ خَيراتٍ للنَّاسِ، ومِن دُونِها الوُصُولُ إلى الخَيرِ لا يَجُوزُ (أف ٢:١٨)، لَكِنْ قَبْلَهَا كانَ يَتَوَقَّعُ المكافأةَ على الخَطَأ[٩].

٢ وكَتَبَها قَبْلَ أَنْ مَضَى[١٠] يوحنّا إلى أفسسَ، في الوقتِ الذي [كانَ فيه] السِّلِّيحُونَ مُجتمِعِينَ V329a في يَهُوذَا.

٣ وكما أنَّ رُومْيَةَ رئيسةُ إيطالية، وقورنتوسَ رئيسةُ أَخَائِيا، هكذا أفسسُ رئيسةُ آسيا.

الإصحاحُ[١١] الثّاني والثلاثون[١٢]

٤ **قولُه:** "كلُّ شيءٍ يَتَجَدَّدُ[١٣] بالمسيحِ في السَّماءِ والأَرضِ" (١:١٠)، و"التَّجَدُّدُ" ها هنا يُرِيدُ بِهِ: كَوْنُ النّاسِ على رَأْيٍ واحِدٍ، ها هنا على طريقِ العُرْبُونِ، وثُمَّ على طريقِ الكمالِ، فيهِ صارَ الملائكةُ والنّاسُ يَلحَظُونَ[١٤] شيئًا واحداً، وعلى مَوَدَّةٍ واحدةٍ.

٥ **وقولُه:** "إلَهُ سيّدِنا يسوعَ المسيحِ، أبُو[١٥] المجدِ" (١:١٧)، قالَهُ في المسيحِ مِنْ حيثُ هو إنسانٌ. فأمَّا مِنْ حيثُ هو إلَهٌ، فهو مُسَاوٍ في الجوهرِ، وهو ـ على وهنٍ ـ "أركوسُ"[١٦] (١:٢١).

٦ و"السّلاطينُ" (١:٢١) وتسعةُ أسباطِ الملائكةِ علمت، أمّا الكَروبيّينَ فَمِنْ موسى وحزقيّال، والسَّرافينُ مِنْ أشعيا، والمُتَيَقِّظُونَ[١٧] مِنْ دانيال، والملائكةُ والقوى مِنْ داوودَ، والمَراتِبُ والسَّادَةُ وأركُوسُ والسَّلاطينُ مِنَ السِّلِّيحِينَ.

٧ واختلافُ أسمائِهم يَدلُّ على اختلافِ خدمتِهم، وكيفَ خُصُّوا[١٨] بخدمةٍ خدمةٍ، وإلاَّ فكلُّهم مُتَيَقِّظُونَ[١٩]، مقدَّسُونَ[٢٠]، أقوياءُ، السارافينُ المتوقّدونَ[٢١] الملتهبونَ[٢٢].

٧-٧: ططوس.

٨- قراءة غير أكيدة.

٩-٧: الخطاء.

١٠-٧: مضي.

١١- لا يعادل تقسيم ابن الطيب نص الرسالة إلى "إصحاحات" تقسيمَها المتداول حاضراً إلى فصول وآيات.

١٢-٧: والثلثون. الترقيم هنا هو الرقم المتسلسل الذي يُدرجُه ابن الطيب في تفسيره.

١٣-٧: نقل حرفي عن البشيطتا: كلمدم من دريش نتحدت بمشيحا دبشميا وبارعا، مختلف عن الأصل اليوناني الذي يُنْقَلُ عادةً إلى العربية كما يلي: "فيجمع في المسيح تحت رأس واحد كل شيء، ما في السماوات وما على الأرض" (**الكتاب المقدس، العهد الجديد**، الترجمة الليتورجية المارونية، منشورات طريق المحبة، لبنان ٢٠٠٢).

١٤- قراءة غير أكيدة.

١٥-٧: أب.

١٦- لفظة يونانية، وتعني "رئاسة".

١٧-٧: والمتيقظين.

١٨-٧: خصّو.

١٩-٧: متيقظين.

٢٠-٧: مقدسين.

٢١-٧: المتوقدين.

٢٢-٧: الملتهبين.

٨ وقومٌ قالوا: المقدّسون[٢٣] الكاروبين الكثيرو[٢٤] العيونِ، المقتنو[٢٥] V329b المَعَارِف. وقومٌ قالوا: العازفون[٢٦] المهللون[٢٧]؛ المبلبلون[٢٨] والمكرمون[٢٩] مقبله.

٩ "القوّات" (٢١:١)، الأقوياء بالله، الجنود القوام على الملوكِ والشُّعوبِ والنَّاسِ. "السَّلاطينُ" (٢١:١)، المُسَلَّطونَ[٣٠] على الدِّيارِ والبلاد والمدن، الرؤساء.

١٠ "رئيسُ الهواءِ" (٢:٢)، والمدبِّرُ لاختلافاتِه، كالبرقِ والغمامِ والمطرِ وغيرِ ذلك؛ رؤساءُ الملائكةِ الذين يُوعِزون إلى الذينَ تَحتَهُم؛ ملائكة المرسلين، وعلى مثالِهم رُتَبُ خِدَمِ البيعةِ، الشمامسةُ المطهرون[٣١]، القسوس المقرّبون[٣٢]

للأكابر، رؤساء الكهنة المكانيين[٣٣]. وقومٌ قالوا: جوهرُ التِّسعةِ واحدٌ. وقومٌ قالوا: مختلفون[٣٤].

١١ **وقوله:** "الذي هو فوقَ الكُلِّ وهبه" (٢٢:١)، وما بَعْدَهُ، مَعناهُ: كما أنَّ في الجسمِ الواحدِ الجزءَ الأَعلَى، الذي هو الرأسُ، وهو مفيدُ الحياةِ للجسمِ، هكذا، في هذا العالَمِ، كلُّ النَّاسِ كجسمٍ واحدٍ رأسُهُ آدمُ (١٠:١)، "وفي العالَمِ المُزْمِعِ" (٢١:١)، كلُّنا كجسمٍ واحدٍ رأسُهُ المسيح.

١٢ "والبيعة" (٢٢:١) إشارةٌ إلى جميعِ المؤمنينَ.

١٣ **وقوله:** "يَتَكَمَّلُ كلٌّ في كُلٍّ" (٢٣:١)، وفي اليوناني[٣٥] "يَتَكَمَّلُ كلٌّ في كلٍّ"، أي: يَكُونُ اتِّحادُ اللهِ بالكُلِّ لا بأَنْ يَتَّحِدَا، لكنْ بِكُلِّيَّتِهِ في كُلٍّ مِنَّا بالجوهرِ وبالتَّدبيرِ والسُّلطانِ أو بالقوّةِ. وبالجُملةِ، يَكُونُ رأسُنا (رج ٢٢:١) المسيحَ V330a، وفيهِ سُكنى الجوهرِ الإلهيِّ الذي هو في الكُلِّ بغيرِ حَدٍّ.

١٤ **وقوله:** "كَمُرادِ رئيسِ سلطانِ الهَواءِ" (٢:٢)، و"رئيسُ سلطانِ الهواءُ" (٢:٢)، إشارةٌ إلى الشَّيطانِ. فهذا، قَبْلَ هبوطِهِ، كانَ مُدَبِّرَ الهواءِ.

١٥ **وقوله:** "إنَّ الذي جَعَلَ الاثنينِ واحداً، وَحَلَّ السِّياجَ الذي في الوسطِ" (١٤:٢)، إشارةٌ إلى المسيحِ الذي رَدَّ المودَّةَ بينَ السَّمائِيِّينَ والأَرضيِّينَ.

٢٣-V: المقدسين.
٢٤-V: الكثيروا.
٢٥-V: المقتنوا.
٢٦-V: العازفين.
٢٧-V: المهللين.
٢٨-V: المبلبلون.
٢٩-V: المقبلون.
٣٠-V: المسلطين.
٣١-V: المطهرون.
٣٢-V: المقربون.
٣٣-V: قراءة مقترحة بدلاً من كلمة "المكان".
٣٤-V: مختلفين.
٣٥-V: το πληρωμα του ταπαντα εν πασιν πληρομενου
٣٦-V: الهوى.
٣٧-V: السلطان.

١٦ و"السِّياجُ الذي في الوسطِ" (١٤:٢) هو النّاموسُ الذي كانَ يَفْصِلُ بينَ الشّعبِ والشُّعوبِ حتّى لا يَختَلِطُوا[٣٨] بالمحبّة. وهذا فعَلَهُ بأَلَمِهِ ومَوتِهِ (رج ١٣:٢). فالنّاموسُ الجَسَدانِيُّ يَصْلُحُ للاثنينِ، وهو الذي "أَبْطَلَهُ" (١٥:٢)، وأَعطَى النّاموسَ الإلهيَّ الذي هو عربونُ القيامةِ والملكوتِ.

١٧ و"بَشَّرَ بالسِّلْمِ للبُعَداءِ" (١٧:٢) الذينَ هُمُ الشُّعوبُ، لأَنَّهم كانوا بعيدين[٣٩] مِنَ اللهِ، و"القُرَباءِ" (١٧:٢) الذينَ هُمُ اليهودُ.

١٨ **وقولُه:** "إِنَّهُ هوَ الذي بهِ كُلُّ جسمٍ تَركَّبَ" (٢١:٢)، يُريدُ: بِهِ اجتَمَعَتِ الشُّعُوبُ والشَّعبُ، وبالمَولِدِ الثّاني قَبِلُوا الكَمالَ.

الإصحاحُ الثّالثُ والثّلاثون

١٩ **قولُه:** "في الظُّهورِ عَرَفْتُ هذا الوقتَ" (٣:٣)، وما بَعْدَهُ، يُريدُ: "إِنَّكُم سَمِعْتُم بتدبيرِ[٤٠] النِّعمةِ الموهوبةِ لهُ بكم"[٤١] (٢:٣).

٢٠ و"السِّرُّ" (٣:٣) الذي[٤٢] ظَهَرَ لهُ بالمسيحِ V330b هو ظَهَرَ لهُ، يَنكَشِفُ في دهرٍ آخَرَ، وهو كَوْنُ "الشُّعوبِ مِنْ أَبناءِ الميراثِ" (٦:٣)، وأَبناءِ الملكوتِ.

٢١ و"ظهورُ ذلكَ للسِّلّيحِينَ وللأَنبياءِ" (٥:٣)، أَمَّا الأَنبياءُ فيُشيرُ بِهِم إلى الذينَ كانوا بَعْدَ المسيحِ، كبرنابا[٤٣].

٢٢ **وقولُه:** "وَبِتَوَسُّطِ البيعةِ تُعْرَفُ حِكمتُهُ" (١٠:٣)، و"حِكمةُ اللهِ المملوءةُ بالاختلافِ" (١٠:٣)، إشارةٌ إلى الأقانيمِ الثلاثةِ[٤٤] مَعَ اتِّحادِها في الجَوهَرِ.

٢٣ **وقولُهُ:** "التي منها تُسَمَّى كُلُّ أُبُوَّةٍ" (١٥:٣)، أي كُلُّ جماعةٍ، أي كُلُّ رئاسةٍ وجماعةٍ، فَالأُبُوَّةُ تُقالُ على الأَمرَيْنِ.

٢٤ ودَعوتُنا لِلّهِ "أباً" (١٥:٣)، أَمَّا ها هنا فكالأطفالِ، وثُمَّ أَعنِي في الملكوتِ كالكاملينَ، فَكُلُّ أُبُوَّةٍ في الأَرضِ مِنْهُ، وَكُلُّ أُبُوَّةٍ في السَّماءِ.

٢٥ **وقولُهُ:** "لِتَتَمَكَّنُوا أَنْ تُدرِكُوا مَعَ كُلِّ القِدِّيسِينَ مَا العُلْوُ" (١٨:٣)، ومَا بَعْدَهُ، يُريدُ: أُصَلِّي لِكَيْمَا تَلْتَذُّوا بالنِّعمةِ، وتُشارِكُوا[٤٥] القِدِّيسِينَ في الملكوتِ، في المعرفةِ بجميعِ الأُمورِ.

٢٦ و"العُلْوُ[٤٦] والعُمْقُ" (١٨:٣)، إشارةٌ إلى عِلْمِ الأَجسامِ، وغيرِ الأَجسامِ. و"الطُّولُ" (١٨:٣) معرفةُ الجسمِ[٤٧]، و"العَرْضُ" (١٨:٣) معرفةُ عنايةِ اللهِ.

٢٧ **وقومٌ قالُوا:** "العُلْوُ" إشارةٌ إلى عِلْمِ الآلهةِ، و"العُمْقُ" إلى التّدبيرِ بالجسدِ، و"الطُّولُ" إلى معرفةِ الطِّباعِ غيرِ المُجَسَّمَةِ، و"العَرْضُ" إلى الطِّباعِ المُجَسَّمَةِ. V331a

٢٨ **وقومٌ قالُوا:** "العُلْوُ والعُمْقُ" إشارةٌ إلى عِلْمِ التثليثِ، و"الطُّولُ والعَرْضُ" إشارةٌ إلى عِلْمِ التَّأَنُّسِ.

٣٨–V: يختلطون.

٣٩–V: بعيدون.

٤٠–V: على تدبير.

٤١–V: هذه الجملة هي نقل حرفي عن السريانية.

٤٢–V: في الهامش.

٤٣–V: كَبَرْنَبَا. هناك كلمة أخرى، تلي اسم برنابا، تصعب قراءتها.

٤٤–V: الثلثة.

٤٥–V: وتشاركون.

٤٦–V: في الهامش.

٤٧–V: هناك ثلاث كلمات مشطوبة وهي : والغرض معرفة الجسم.

٢٩ **وقَوْمٌ قالُوا:** "العُلُوّ" إشارةٌ إلى كلمةِ اللهِ، و"العُمْقُ" إلى الإيمانِ المَأْخُوذِ مِنَّا، و"الطُّولُ" إلى التَّدبيرِ في هذا العَالَمِ، و"العَرْضُ" إلى التَّدبيرِ في العَالَمِ المُزْمِعِ.

٣٠ **وقَوْمٌ قالُوا:** "الأَربعةُ"، إشارةٌ إلى تدبيرِ الصَّليبِ.

٣١ وفَمُ الذَّهَبِ يَقُولُ: لِيَقْتَدِرُوا أَنْ يَعْلَمُوا تدبيراتِ اللهِ عُلُواً وَسُفْلاً وجميعَ الجوانبِ.

٣٢ **وقولُه:** "ويَمتَلِئُونَ بِكُلِّ كمالِ اللهِ" (١٩:٣)، يَعني: كما أَنَّكُم جزءٌ مِنْ جسمِ رَأْسُهُ المسيحُ، وفي هذا الجسمِ سُكْنَى الألوهةِ[٤٨] أكثر، والمسيحُ ارتباط العالم.

٣٣ **وقَوْمٌ قالُوا:** إنَّ "كمالَ اللهِ" (١٩:٣) إشارةٌ إلى البُشْرَى. و"الكمالُ" الذي يُشِيرُ إليه كُلُّ شيءٍ أخيراً.

٣٤ **وقَوْمٌ قالُوا:** "الكمالُ" يُريدُ بهِ كمالَ المعرفةِ باللهِ، وأَنَّهُ واحدٌ.

٣٥ **وقَوْلُه:** "وَصَعِدْتَ إلى العُلْوِ وَسَبَيْتَ السَّبْيَ، وَأَخَذْتَ المَواهبَ لِلنَّاسِ" (٨:٤)، يُريدُ: وَهَبْتَ المواهبَ لِلنَّاسِ. و"السَّبْيُ الذي سَبَاهُ" (٨:٤)، ارتجاعُ النَّاسِ مِنْ يَدِ الشَّيطانِ والخطيئةِ.

٣٦ **وقَوْمٌ قالُوا:** "صَعِدْتَ إلى السَّماءِ" (٨:٤-١٠) بَعْدَ سَبْيِ الشَّيطانِ، وَأَخَذْتَ المواهبَ مِنَ الآبِ، وَأَعْطَيْتَهَا لِلنَّاسِ.

٣٧ "وانحِطاطُهُ إلى أَسافِلِ الأَرضِ" (٩:٤)، إشارةٌ إلى V331b نُزُولِهِ إلى القبرِ، وبموتِهِ أَفادَ الرَّجاءَ لِجميعِ الجِنْسِ الآدَميِّ.

٣٨ **وقَوْلُه:** "لِيُتِمَّ[٤٩] الكُلَّ" (١٠:٤)، يُريدُ: لِيُتِمَّ كُلَّ شَيءٍ، وَيُكْمِلَ مُرادَ الآبِ بِتَجديدِ كُلِّ الخَلائِقِ.

٣٩ **وقَوْلُه:** "بِمِقْدارِ القيامَةِ[٥٠] الكاملَةِ" (١٣:٤)، يُريدُ: إنَّ النَّاسَ يَقُومُونَ في القيامةِ على المِقدارِ الكاملِ، يَعْني أَبناءَ ثلاثينَ[٥١] سَنَةٍ.

الإصحاحُ الرَّابعُ والثلاثون

٤٠ **قَوْلُه:** "لا تُكْرِبُوا رُوحَ القُدسِ" (٣٠:٤)، يُريدُ: أَفعالُكم. وصِفاتُ الأَجسامِ تُطْلَقُ على اللهِ وَعلى الأَقانيمِ عادةً، لا لأَنَّها أَجسامٌ، لكنَّها تَظهَرُ معها أَفعالُ الأَجسامِ بِسَبَبِنا.

٤١ و"يَوْمُ الخَلاصِ" (٣٠:٤)، يُشِيرُ بهِ إلى يومِ القيامةِ.

٤٢ و"النَّجاسةُ" (٣:٥) إلى الزِّنى[٥٢] المُفْرِطِ.

٤٣ و"الغاشِمُ" (٣:٥) يُشيرُ بهِ إلى السَّاجِدِ لِلصَّنَمِ، لأَنَّهُ لا يَظُنُّ أَنَّهُ يُعاقَبُ مِنَ الصَّنَمِ، كذلكَ الغَاشِمُ لا يَظُنُّ [أنه يُعاقَبُ][٥٣] مِنَ اللهِ.

٤٤ **وقَوْلُه:** "إِنْتَبِهْ، أَيُّها المُضْطَجِعُ، وَقُمْ" (١٤:٥)؛ و"المُضْطَجِعُ" إشارةٌ إلى الحنيفِ.

٤٥ و"الظُّلمةُ" (٨:٥) إشارةٌ إلى الزَّمانِ الذي قَبْلَ مَجيءِ سَيِّدِنا، و"النُّورُ" (٨:٥) إلى مَجيئِهِ.

٤٨-V: الالهة.

٤٩-V: "ليتمم" في الهامش.

٥٠- يلتبس الأمر على ابن الطيب، فينقل الكلمة السريانية "قَوْمْثَا" (قومتا) التي تعني "القامة" إلى العربية بكلمة "قيامة"، ممّا يجعله يفسّر الآية وكأنها تتكلم على القيامة.

٥١-V: ثلثين.

٥٢-V: الزنا.

٥٣-V: عقاب.

٤٦ وقَوْلُهُ: إنَّ التي بها يُدْعَى كُلُّ إنسانٍ إلى معرفةِ الحَقِّ (رج ١طيم ٢:٤؛ أف ١:١٣)، وخدمةِ الخيراتِ، فَكُلُّنا بالميلادِ الرُّوحانيِّ قَبِلْنا القيامةَ، وَاتَّبَعْنا المسيحَ، وَأَشْبَهْناهُ في عَدَمِ الميتوتةِ والفسادِ.

V332a

الإصحاحُ الخامسُ والثلاثون

٤٧ قَولُهُ "لكنْ معَ أَركوسَ والسلاطين" (١٢:٦) أَبانَ أَنَّ مِنْ هَذَيْنِ السِّبْطَيْنِ سَقَطَ مَنْ سَقَطَ.

٤٨ وقَوْمٌ قالُوا: مِنْ ثلاثة[٥٤] أَضافُوا إليهما رؤساءَ الملائكةِ، إلاَّ أَنَّ أَكثرَ مِنْ أَركُوسَ.

٤٩ و"الظُّلمةُ" (١٢:٦) يُشيرُ بها إلى الضَّلالِ وَعَدَمِ المعرفةِ التي بها[٥٥] يَتْبَعُ النَّاسُ أَفعالَ الشَّيطانِ. وإذا كانَ ملوكُ الأَرضِ والولاةُ يُدْعَوْنَ مُسَلَّطِينَ، فَكَمْ أَوْلَى بالشَّياطينِ الذي كانَ هذا الأَمرُ فِيهم!

٥٠ وبَنَى النَّاسُ على أَفعالِهم الهياكلَ، وَرَتَّبُوا فيها الأَحبارَ والذَّبائحَ والأَنبياءَ الكَذَبَةَ، ولهذا قالَ الشَّيطانُ لِسَيِّدِنا: "لَكَ أُعْطِي العالَمَ وكُلَّ سُلطانِهِ المُسَلَّمِ إليَّ" (لو ٤:٦).

٥١ بأَفعالِهم القبيحةِ انحازُوا مِنَ الملائكةِ وَهَبَطُوا[٥٦] إلى تحتِ السَّماءِ. وَيُسَمَّوْنَ "أَرواحَ السُّوءِ" (١٢:٦)، بقياسِ الملائكةِ.

٥٢ وهذهِ الرِّسالةُ كَتَبَها بُولُسُ مِنْ رُومِيَةَ وَأَرْسَلَها عَلَى[٥٧] يَدَيْ "طُوخِيقُوسَ"[٥٨] (١٢:٦).

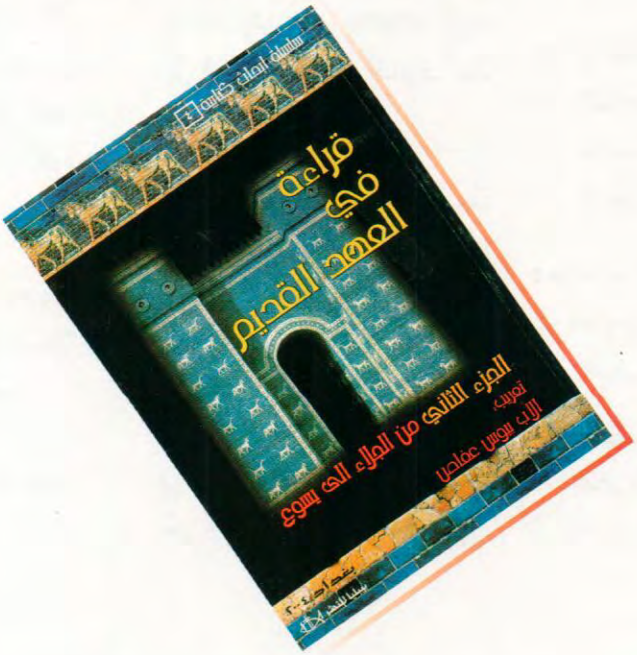

٥٤–V: ثلثة.

٥٥–V: في الهامش.

٥٦–V: وهبطو.

٥٧–V: فوق السطر.

٥٨–V: لا وجود لهذه المعلومة في النص اليوناني الأصلي، لكنها تَرِدُ في آخر نص البشيطا: "تمَّت الرسالة إلى الأفسسيين، التي كُتِبَت من روما، وأُرسِلَت على يد طوخيقوس".